جمهورية العراق
ديوان الوقف السني
مركز البحوث والدراسات الإسلامية

سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة
(٥٠)

منهج التفسير التحليلي للنص القرآني

سورة النصر أنموذجاً

د. محمد صالح عطية الحمداني

١٤٣٠هـ الطبعة الاولى ٢٠٠٩م

جميع الآراء التي في هذا المطبوع تمثل رأي كاتبها وهي لا تعبر
بالضرورة عن رأي المركز
حقوق الطبع محفوظة للمركز

الإهـــــداء

إلى مَنْ أحب القرآن فأصبح زاده

جهد يسعى إليكم والإيمان رفيقه المؤنس

جاءكم كالفجر يدرج من مهد الظلام

وكالورد ينبت في ثنايا الشوك

فلا الظلام يخيفه ولا الشوك يؤلمه

مادام متأملا:

أن صبحاً سينبلج

وأن وردة ستتفتح

فهل من مبتاع

الباحث

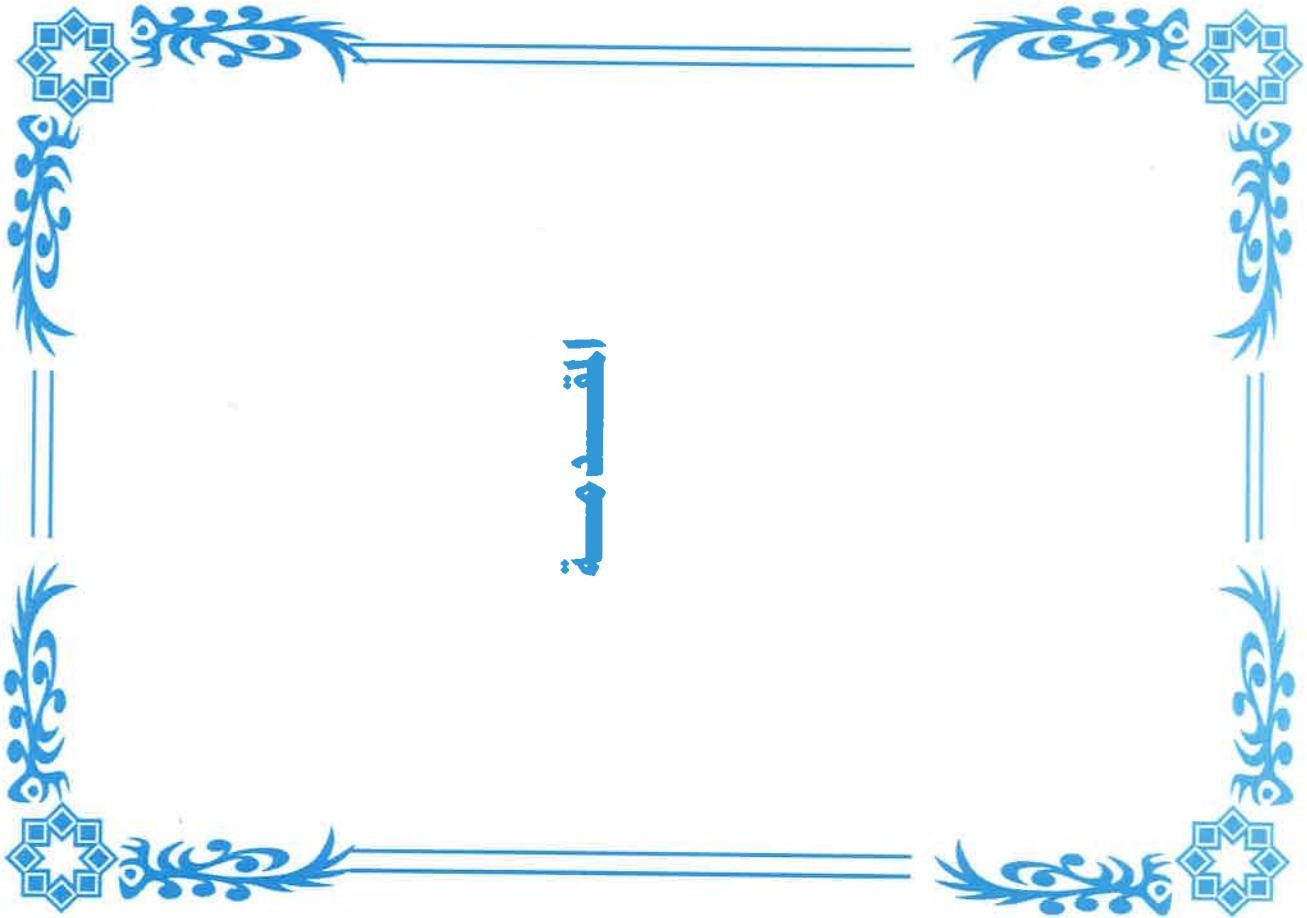

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على قدوة المرسلين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وعلى من اقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

وبعد: فإن المناهج التفسيرية قد تعددت وأصبح لكل علم منهج تفنن الباحثون بعرضه حسب قدراتهم وأساليبهم وطرق تفكيرهم، والنص القرآني نسيج وحده، فمن أراد أن يفهمه بدقة عليه أن يختار المنهج المناسب من تلكم المناهج المتعددة، والمنهج التحليلي واحد منها، هو الذي يغوص في أعماق النص كلمة وسببا ومناسبة وقراءة وإعرابا وبلاغة ومعنى واستخلاص فوائد، فهذا الأسلوب يوصل الباحث إلى الهدف الذي يسعى من أجله وهو كشف اللثام عما غمض من النص وإزالة الالتباس وإظهار الأسلوب المعجز له ومناقشة الآراء وترجيح الصائب منها بالدليل عبر خطوات منهجه الذي أصبح ديدن طلبة الدراسات العليا في توجههم إلى النص القرآني يحللونه ويستخلصون الفوائد الجمة منه ويربطونه بالواقع لكي يوجهوا جوانب الحياة وفق منطلقاته القرآنية. فقد ارتأيت أن أعرض هذا المنهج لطلبتي الأعزاء ليكون أسلوب عمل ومنار هداية لما يكتبون، وهذا المنهج أملى علي أن تكون خطة عملي مقسمة على ثلاثة فصول وخاتمة غير هذه المقدمة. عرضت في الفصل الأول مفهوم المنهج تطورا وأهمية. أما الفصل الثاني فقد استعرضت فيه ضوابط فهم النص القرآني.

أما الفصل الثالث فبينت فيه خطوات المنهج التحليلي فيما شمل الفصل الرابع سورة النصر أنموذجا تطبيقيا ليجمع البحث بين النظرية والتطبيق فيكون أكثر فائدة لطلبة العلم والساعين إلى الحقيقة.

وقد اعتمدت مصادر متعددة شملت:

المعاجم اللغوية وكتب التفسير والحديث والفقه وأصوله والفكر الإسلامي وقد ذكرتها باوصافها كاملة في فهرست المصادر والمراجع.

أسأله سبحانه أن يسدد الخطى ويمنحني الرشاد والهدى لخدمة الدراسات القرآنية وأهلها والله الموفق.

أ.د. محمد صالح عطية الحمداني

جامعة بغداد

كلية العلوم الإسلامية

بغداد المحبة

١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م

الفصل الأول

منهج التفسير التحليلي للنص القرآني تطورا وأهمية

ويشتمل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: منهج التفسير التحليلي للنص القرآني في اللغة وفي الاصطلاح.

المبحث الثاني: تطور المناهج التفسيرية.

المبحث الثالث: أهمية منهج التفسير التحليلي.

المبحث الأول

منهج التفسير التحليلي في اللغة وفي الاصطلاح

المطلب الأول

المنهج في اللغة وفي الاصطلاح

١. المنهج في اللغة: المنهج كالمنهاج ويعني الطريق الواضح قال سبحانه: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[١] وأنهج الطريق وضح واستبان وصار نهجا واضحا بينا، والنهج الطريق المستقيم والواضح البين وطرق نهجه واضحة (كالمنهج) بالفتح.[٢]

٢. المنهج في الاصطلاح: هو الطريقة أو أسلوب البحث الذي ينتهجه الباحث في الوصول إلى المعرفة، بأسلوب علمي يخضع للتقصي الدقيق والنقد، وعرضه بطريقة تحقق التكامل والشمول.[٣]

أو هو الخطة التي يضعها المفكر أو الكاتب أو الباحث لكي يتخذ منها طريقا للوصول إلى غاية ما.[٤]

---

(١) سورة المائدة ــ من الآية: ٤٨.

(٢) ينظر لسان العرب ــ لابن منظور: ٣/٧٢٧ وتاج العروس من جواهر القاموس ــ للزبيدي: ٢/١٠٩.

(٣) ينظر المنهج الحديث في العلوم الإنسانية ــ للدكتور فاروق السامرائي: ٧٠.

(٤) التطبيق العملي لمنهج البحث الأدبي وتحقيق النصوص ــ للدكتور رشيد العبيدي: ٢١.

المطلب الثاني

التفسير في اللغة وفي الاصطلاح

١- التفسير في اللغة: يطلق لفظ التفسير ويراد به معان عدة، وهو مصدر فسر. والفسر البيان نقول: فسر الشيء يفسره (بالكسر)، ويفسره (بالضم) وفسره أبانه والتفسير مثله، والفسر كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل.[١] وفسرت الشيء فسرا: من باب ضرب، بينته وأوضحته والتثقيل مبالغة.[٢] والتفسير راجع إلى معنى الإظهار والكشف.[٣]

يتبين لنا من التعريفات المتقدمة أن التفسير يراد به: الإبانة والكشف والتوضيح والإظهار، وذلك بإظهار الماديات والتوضيح والكشف والإبانة عن المعنويات ويعضد هذا الكلام ويعززه قوله سبحانه: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[٤] أي أحسن بيانا وتوضيحا وكشفا للمراد.

٢- التفسير في الاصطلاح: هو (علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى قدر الطاقة البشرية).[٥]

---

(١) لسان العرب ــ لابن منظور: ٥/٥٥.

(٢) المصباح المنير ــ لأحمد بن محمد: ٢/١٢٧.

(٣) البرهان ــ للزركشي: ٢/١٤٧.

(٤) سورة الفرقان ــ الآية: ٣٣.

(٥) مناهل العرفان ــ للزرقاني: ١/٤٧١ والتفسير والمفسرون ــ للذهبي: ١/١٥.

المطلب الثالث

التحليل في اللغة وفي الاصطلاح

١. التحليل في اللغة: هو مصدر الفعل (حلّل) ويعني تجزئة الاسم إلى قسمين لاستنباط معنى من كل منهما على حدته كقول بعضهم في نفطويه النحوي:

من سره أن لا يرى فاسقاً ... لا ينظر الدهر إلى نفطويه

أحرقه الله بنصف اسمه ... وجعل الباقي صراخاً عليه

فإنه حلل اسمه إلى (نفط) وهو المادة النارية و(ويه) هو اسم صوت للصراخ على الميت.(١)

٢. التحليل في الاصطلاح: يعني إعادة الجملة إلى مكوناتها الأصلية والتعرف على أنواع ارتباطاتها مع بقية الكلمات في الجملة نفسها أو الجمل الأخرى.(٢)

أو هو تمييز المشكلات، وتقسيم كل منها إلى عدد من المشكلات الجزئية حتى يسهل تناولها واحدة بعد الأخرى في صبر وأناة ، وذلك يحقق فهما أدق للمشكلات وتقدما أكبر من إمكان حلها، والتردد الذي قد نصل إليه نتيجة التحليل قد يكون أفضل من تلك التعميمات السريعة وادعاء الوصول إلى يقين بلا أساس.(٣) والتحليل بهذا المعنى يكون على ثلاثة أنواع: انتباه وتقسيم وتمييز وهذا بيانها:

١- التحليل انتباه إلى معنى التصور فإذا أردت تحليل تصور ما فإني أفكر فيه وأحاول فهم معناه وأن أضعه أمام عيني وعقلي حتى أراه.

---

(١) محيط المحيط ــ للبستاني: ٤٤٢/١.

(٢) ينظر من مرتكزات التفسير التحليلي ــ للدكتور عبد الرزاق أحمد الحربي ــ مقال منشور في مجلة الروضة / عدد خاص / ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م: ٢٧.

(٣) مناهج البحث الفلسفي ــ للدكتور محمود زيدان: ١٠٢.

٢- التحليل تقسيم يمكنني تحليل معنى تصور ما بقسمته إلى تصورات أخرى تؤلفه.

٣- التحليل تمييز يستلزم تحليل معنى تصور ما، وإحصاء لكل المعاني التي يدل عليها اللفظ، أو إحصاء لكل الاستخدامات الممكنة لذلك اللفظ، ومحاولة التقاط الخاصة المشتركة فيها جميعا.[١]

المطلب الرابع

النص في اللغة وفي الاصطلاح

١. النص في اللغة: أصل النص: الرفع والظهور، ونص كل شيء منتهاه، فتقول نصّ إليه: إذا رفعه، قال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلا أنص للحديث من الزهري، أي أرفع له وأسند وتقول نصّ ناقته ينصها نصا إذا استخرج أقصى ما عندها من السير. والماشطة تنص العروس فتقعدها على المنصة وهي تنتص عليها لترى من بين النساء، وكل ذلك مجاز من النص لمعنى الرفع والظهور.[٢]

٢. النص في الاصطلاح: هو اللفظ الدال على معنى لا يحتمل غيره، ولذلك قيل نص القرآن والسنة: ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام وكذا نص الفقهاء الذي هو بمعنى الدليل لضرب من المجاز كما يظهر من التأمل.[٣]

---

(١) المصدر نفسه: ٩١-٩٢.

(٢) تاج العروس من جواهر النفوس ــ للزبيدي: ٤/٤٤٠.

(٣) المصدر نفسه: ٤/٤٤٠.

المطلب الخامس

منهج التفسير التحليلي للنص القرآني في الاصطلاح

إن الذي يديم التفكير في التعريفات السابقة ويتأمل فيها سيصل إلى أن منهج التفسير التحليلي للنص القرآني هو مصطلح وصفي يعني:

البيان والتوضيح بأسلوب ينتهجه الباحث لتجزئة نص قرآني إلى عناصره التي تدخل في تشكيله والتعرف على أنواع ارتباطاتها مع بعضها وإزالة أي إشكال أو غموض يلفها وصولا للغاية المبتغاة.

ومن هذا الفهم للتعريف فإن منهج التفسير التحليلي يسعى لكشف اللثام عن النص القرآني وإيضاحه ضمن خطواته التي يتخطاها وصولا للفهم الواعي والمستوعب بلا احتمالات لأنه يعتمد الأسس الثابتة من انتباه واع للتصورات وتقسيم منضبط للمشكلات وتمييز مقتدر للمشتركات، فيكون بذلك منهجا يعتمد الأسس السليمة وصولا إلى اليقين بعيدا عن الاحتمالات والتعميمات غير المنضبطة، ولكل هذه المواصفات أخذ أهميته من بين المناهج التفسيرية كما سنبين لاحقا.

المبحث الثاني

تطور المناهج التفسيرية

إن الذي يلقي نظرة فاحصة إلى مسيرة المناهج التفسيرية فسيجد أنها متنوعة المشارب متباينة الاتجاهات، وهذا جاء نتيجة للتطورات العلمية وتنوع الحاجات المتجددة والتطلع المعرفي والدعوة القرآنية إلى السير والنظر والتأمل والاستنباط وأخذ العبر، كل ذلك أغرى أصحاب العقول والفكر أن يسبروا بحار المعرفة القرآنية ليقدموا للعالم فهما واعيا لمعانيه، وهذا ما جعل اتجاهات المفسرين

تتلون بثقافة المفسر حينا وحاجة العصر أحيانا أخر، وهذا ما توضحه تطورات التفسير عبر مسيرته التاريخية الآتية:

- ففي العهد النبوي كانت قاعدة التشريع هي الوحي قرآنا كان أم سنة، أما ما وقع من النبي صلى الله عليه وسلم من اجتهاد أو ما أقر بعض اجتهادات الصحابة فإنها مما لم ينزل بها قرآن ولم تكن مصدر للتشريع، ولعل وضوح الحاجات ووجود الرسول الكريم بينهم وتطبيقه للقرآن عمليا إذ كان خلقه القرآن. كل هذا جعل حاجتهم إلى التفسير غير ملحة.(١)
- ولكن بعد أن لبى رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء ربه سلك الصحابة نهجه فساحوا بدين الله مجاهدين ينشرون نوره فكان لانتشارهم في أرجاء المعمورة وتطور الحياة وتشابك الأمم وتمازجها أثر في حدوث مستجدات جعلتهم يواجهون ذلك فدرسوا الوقائع ومحصوا الأقوال وأداموا التفكير ليقطعوا بالصالح والملائم لشرع الله ورفض غيره إن لم يجدوا لتلكم المستجدات حلولا في الكتاب والسنة المطهرة، فهذا الفاروق عمر (رضي الله عنه) يكتب إلى أبي موسى الأشعري يقول له: الفهم الفهم فيما أدلي إليك مما ورد عليك مما ليس في قرآن ولا سنة، ثم قايس الأمور عند ذلك واعرف الأمثال، ثم اعمد فيما ترى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق)(٢) نستشف من هذا الحرص على الاجتهاد للوصول إلى الرأي الصائب والسديد في غير القرآن فكيف إذا كان الأمر متصلا به لقد كان تحرجا

(١) ينظر الاحكام ــ للآمدي: ١٤٤/٣-١٤٥.

(٢) اعلام الموقعين ــ لابن القيم: ٨٦/١.

شديدا وذلك(أخذ لأنفسهم بالأحوط من الأمور وخشية الوقوع فيما لا علم لهم به).[1]

وعليه فإن الاجتهاد في عصر الصحابة الكرام كانت دائرته ضيقة جدا إلا ما نجده عند ابن عباس (رضي الله عنه) إذ كان يعتمد الشعر في تفسير الكلمات، كتفسيره لكلمة (لازب) في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾[2] بمعنى الملتصق مستشهدا بقول النابغة :

ولا يحسبون **الخير** لا **شرّ** بعده ولا يحسبون **الشر** ضربة لازب[3]

وهكذا نلاحظ أن المصادر التشريعية في عصر الصحابة الكتاب والسنة والإجماع، ولا يخفى أن الصحابة الكرام لم يكونوا بمستوى واحد من القدرة لتفسير القرآن الكريم وهذا ناتج عن مقدار ما يفتح الله لهم من طريق الفهم والاجتهاد.[4]

- أما في عصر التابعين فقد سار التفسير عما هو عليه في عصر الصحابة لأن التابعين تلامذتهم فكانوا يرجعون إلى الكتاب الكريم وما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام واجتهادهم وأخذهم من أهل الكتاب لتفسير ما غمض عن الفهم لمن عاصرهم.[5] ولما ابتدأ تدوين السنة في أواخر العهد الأموي وأوائل العهد العباسي كان يشمل أبوابا كثيرة ، منها باب التفسير الذي كان يكتب بجوار الحديث منسوبا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو التابعين ثم استقل التفسير إذ أصبح

---

(١) التعريف بالقرآن والسنة ــ للزفزاف: ١٧٤.

(٢) سورة الصافات ــ من الآية: ١١.

(٣) ديوان النابغة الذبياني: ٤٨.

(٤) ينظر القرآن والتفسير ــ لعبد الله شحاته: ٩١.

(٥) ينظر التفسير والمفسرون ــ للذهبي: ١/٩٩-١٠٠.

علما منفردا، فالتفاسير التي ظهرت في القرن الثالث تشير إلى أنها تنضم إلى جانب التفسير بالمنقول محاولات جريئة بترجيح أحد المنقولات معتمدا على السند والعرف من كلام العرب ولاسيما الشعر وعاداتهم وليس هذا إلا أخذا بالتفسير العقلي ، ويعد ابن جرير الطبري في مقدمة من سلك هذا المنهج وتفسيره (جامع البيان) خير دليل على صحة ما نقول فهو دائرة معارف ضخمة، وبتقدم الزمن كثر التفسير العقلي حتى كاد يطغى على التفسير النقلي وما أن ظهرت مدرسة المعتزلة وعلى رأسها الزمخشري إلا وأصبحت معالم هذا التفسير واضحة جلية.(١) وأصبح بإمكان المتطلع أن يميز بين تفسيرين نقلي وعقلي وفي هذا يقول ابن خلدون: والصنف الآخر من التفسير وهو ما يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة والإعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب وهذا الصنف من التفسير قل أن ينفرد عن الأول إذ الأول هو المقصود بالذات وإنما جاء هذا بعد أن صار اللسان وعلومه صناعة نعم قد يكون في بعض التفاسير غالبا ومن أحسن ما أشتمل عليه هذا الفن من التفاسير كتاب الكشاف للزمخشري).(٢)

ومما تقدم يظهر لنا أن تطور العلوم واتساع الثقافة الإسلامية قد أثر في مناهج المفسرين وثقافاتهم، ولذلك نجد تعدد المناهج التفسيرية حسب براعة وثقافة صاحب كل علم فظهر المنهج الأثري والمنهج العقلي الذي يشمل المنهج الفقهي والنحوي والبياني والفلسفي والعلمي والأشاري والاجتماعي والموضوعي والتحليلي. والمنهج التحليلي موضوع عملنا هذا إذ يجمع بين المنهجين الأثري والعقلي سوية وهذا الجمع بين المنهجين يحملنا إلى القول أنه قديم قدم ظهور المنهج

---

(١) ينظر القرآن والتفسير ــ لعبد الله شحاته: ٩٢-٩٤.

(٢) مقدمة ابن خلدون: ٣٤٨-٣٤٩.

الأثري لأنه يعتمد في خطواته أسباب النزول والقراءات وارتباط النص بما قبله وبما بعده وهذا ما يعتمده المنهج الأثري كما أن أخذه بإظهار القضايا البلاغية واعتماده على الموقع الإعرابي وتوجيه ذلك نحويا وتقديمه المعنى العام وما يستنبط من النص في التوجيه والإرشاد اكبر دليل على اعتماده المنهج العقلي، وعليه فإن منهج التفسير التحليلي قديم قدم علم التفسير إلا أن ملامحه وخطواته لم تظهر إلا في العصر الحديث منهجا مستقلا، لذا يعد هذا المنهج من أفضل المناهج التفسيرية لشموليته ودقة تحليله إذ هو ميدان علم وبحر معرفة لمن أرادهما.

المبحث الثالث

أهمية منهج التفسير التحليلي

تبرز أهمة المنهج التحليلي بما يأتي

١- ان هذا المنهج شامل وتأتي شموليته من كونه منهجا يعتمد علوما كثيرة للوصول إلى هدفه المنشود.

٢- هذا المنهج يحمل الباحث على التفكير وبعد النظر ولاسيما في استخراجه ما يستفاد من النص لأنه يحتاج إلى وقفات تأملية طويلة للربط والاستنتاج فلابد للعقل أن يركز على ذلك ليعطي نتائج مثمرة وفوائد جمة.

٣- ينمي هذا المنهج دقة العمل لدى الباحث ويولد قناعة الاختيار وصحة الترجيح؛ لأن خطواته العلمية تقود لذلك.

٤- يزيد الباحث علما إلى علمه، لأن المنهج يدعو لمراجعة علوم كثيرة مما يثبت المعلومات التي سبق دراستها ويزيد ما استجد مما لم يطلع عليه الباحث من تتبعه جمع المادة العلمية.

٥- المنهج يعد ميدانا تطبيقياً للعلوم النظرية فيبسطها للقاري ويقربها له مما يزيد الفهم فيزداد التأثر والتأثير.

٦- يحمل المنهج على العيش في جو النص القرآني بفضل ما ينكشف من دقة تعبير وترابط في السياق واختيار الكلمات المناسبة التي لا يمكن أن يحل مكانها غيرها مهما كانت صلتها بها.

٧- يعد هذا المنهج ميدانا للباحث لإظهار شخصيته البحثية من خلال ما يعرض من مادة تنسيقا وترابطا وقبول ما يعززه الدليل ويناقش ما يحتاج إلى مناقشة؛ لإظهار الصحيح ورد ما عداه بالأدلة التي يسوقها ويعزز آراءه بها، فلا يهمل موقفا يحتاج منه ذلك إلا استثمره لصالح البحث وإثبات شخصيته وهذا ما هو مطلوب ولاسيما في أطاريح الدكتوراه التي لابد أن يأتي بشيء يضاف إلى المعرفة.

٨- هذا المنهج يمكن الباحث أن يفعل خطواته وربطها بجوانب الحياة العامة، لأن القرآن جاء ليصلح المجتمع وينتشله من مستنقعات الرذيلة ويوشحه بوشاح الفضيلة.

٩- المنهج يعد عاملاً من عوامل زيادة إيمان المؤمن ويحد من غلواء غيره فطالما صحح مسار المنافقين، وانتشل بتوجيهه الكفار والمعاندين فأنابوا ورجعوا إلى فطرتهم التي خلقوا عليها وهذا يتوقف على قوة الباحث التوجيهية وصدقه واستطاعته إثارة كوامن النفس وإحداث هزة عقلية ووجدانية يفوق بتأثيرهما السادرون.

١٠- هذا المنهج يجمع بين الأصالة والمعاصرة، لأن الأصيل يعد امتدادا إلى الماضي وارتباطه به، معنى ذلك أن الماضي يمثل جذور الحاضر، وصورة الحاضر معيار ارتباطه بماضيه، وهذا التفاعل يولد حضارة يقاس

عطاؤها من خلال قوة ارتباط ماضيها بحاضرها[1]، ويتطلب من الباحث أن يكون صاحب نظرة تجديدية ولا يكون ذلك إلا بتأصيل الحاضر وعصرنة الماضي، وهذا يحتاج إلى جهد كبير وعقل واع منفتح وسعة إطلاع وروح إبداع واستقلالية ذات، تحفها هداية قرآنية.

١١- وتبرز أهمية هذا المنهج من أنه يشتمل على مناهج متعددة فهو يعتمد الأثر ويبين الموضوع ويسعى للاستقراء ويحلل الآراء ويناقشها ويرجح بالدليل، همه الوصول إلى الحقيقة وهذا يحتاج إلى وقفات متأنية وفكر واع وموازنة دقيقة ليحقق المبتغى.

١٢- في هذا المنهج تفتح للعقل والفكر نافذة تعالج من خلالها الموضوعات المطروحة للبحث في ضوء المأثور لاعتمادهما التلازم والترابط وإلا فإن الباحث إن التزم جانبا وأهمل جانب فإنه سوف لا يعطي للمعالجة حقها ولا بطريقة تفكيره معالمها فتضيع الحقيقة المبحوث عنها سواء أكانت فكرية أم أدبية أم علمية أم إنسانية وهذا أمر مهم يجب أن يتخطاه الباحث ليكون مميزا بطريقته وأسلوب تفكيره.[2]

١٣- هذا المنهج يبعد الباحث عن الأساليب الخطابية والإنشائية، ويجعله يلتزم الدقة في اقتباس المعلومة واختيار الجيد الخالي من النزعة الفردية والانحرافات الذاتية، التي لا تتلاءم مع أسلوب المنهج وموضوعيته والنظرة العقلية بعيدة المدى والمجردة من الهوى.[3]

---

(١) ينظر المنهج الحديث للبحث في العلوم الإنسانية ــ د. فاروق السامرائي: ١٣-١٤.

(٢) ينظر التطبيق العملي لمنهج البحث الأدبي وتحقيق النصوص ــ د. رشيد العبيدي: ٢٢-٢٣.

(٣) ينظر التطبيق العملي لمنهج البحث الأدبي وتحقيق النصوص ــ د.رشيد العبيدي: ٢٢.

١٤- هذا المنهج يتطلب التأني والوقفة الفاحصة لكل ما يقرؤه الباحث ويستوعبه من أفكار وما يستقصي من آراء فقد تتلاقى أفكار وتتعارض أخرى فلا يجعل الباحث نفسه في بحرها المتلاطم الأمواج دون أن يمسك بزمام المقود حتى لا تجره تلك الأمواج إلى مرادها وتتركه في دوامة وحيرة تظهر آثارها على حكمه وتعليله واستنباطاته مما يجعله بعد ذلك عرضة للنقد لعدم استيعابه وقدرته على التقاط الدر ونظمها لصالح بحثه.(١)

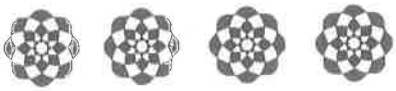

(١) ينظر البحث الأدبي ومنهجه ــ نوري شاكر الآلوسي: ٢٧.

الفصل الأول

ضوابط فهم النص القرآني

ويشتمل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: الأصول النقلية لفهم النص القرآني.

المبحث الثاني: القواعد اللغوية لفهم النص القرآني.

المبحث الثالث: القواعد الأصولية لفهم النص القرآني.

المبحث الرابع: المبادئ العقلية البرهانية لفهم النص القرآني.

الفصل الثاني
ضوابط فهم النص القرآني

لأجل الوصول إلى فهم سليم للنص القرآني لابد من ضوابط تعصم من الانحراف في الفهم وتحافظ على سلامة الفطرة والسلوك وتبعد عن الجدل والتصدر الفكري القاتل والباطنية الهدامة وعدم تقديس الظاهر لأنه لا يتفق وحكمة التشريع ويحصر الفهم في النطاق اللغوي دون البحث عن العلل والأسباب، وعليه فإن الضوابط التي تعتمد لفهم النص القرآني تأخذ المجالات الآتية:

١- الأصول النقلية.

٢- القواعد اللغوية.

٣- القواعد الأصولية.

٤- المبادئ العقلية البرهانية.

وفيما يأتي بيانها في المباحث الآتية:

المبحث الأول

الأصول النقلية لفهم النص القرآني

لابد من اعتماد القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لفهم النص لكونهما مصدرين عظيمين من مصادر التشريع وفيما يأتي بيان دوريهما في الفهم السليم للنص في المطالب الآتية:

المطلب الأول

القرآن الكريم

القرآن الكريم هو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي وصل إلينا تواترا وبنقل أمين، وإنه يفيد العلم القطعي ولذلك لا خلاف بين المسلمين بحجيته والأخذ بأحكامه والعمل بها، وقد حث سبحانه وتعالى على ذلك بقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾[1] فالقرآن المصدر الأول لمن أراد استنباط الأحكام ، وهو نور الهداية إلى سبل الرشاد في الدنيا والآخرة، هذا وإن إجماع المسلمين قائم في كل زمان ومكان إذ أن كتاب الله العزيز هو أساس دينهم وشريعتهم، وقد أصبح ذلك مما يعلم من الدين بالضرورة ولا يحتاج لإقامة دليل، وأنه حجة الله جل وعلا على عباده.[2]

والقرآن الكريم أعجز البشر، وسر إعجازه لا يعلمه إلا منزله لأنه مهما تكشفت منه أسرار لازال الكثير يدعو للتأمل والنظر، لأن فهم النص القرآني يحتاج إلى معرفة دلالات الأحكام الاعتقادية والعملية والخلقية لتتكشف للمفسر معان تفسيرية صحيحة، وما دام القرآن قد ثبت وصوله إلينا بالنقل المتواتر والذي يفيد

---

(١) سورة النساء ــ الآية: ١٠٥.

(٢) ينظر أصول السرخسي: ٢٧٩-٢٨٣ وأصول الاحكام ــ للأمدي: ١٤٨/١.

العلم القطعي مما يحمله من أحكام فلا ريب أن أحكامه تكون قطعية الثبوت كذلك، إلا أن دلالته على هذه الأحكام ليست بدرجة واحدة فهي على ثلاثة أنواع:

١- من الأحكام ما يدل دلالة قطعية على المراد منه، ولا يحتمل غيرها إطلاقا فلا تحتاج مثل هذه الأحكام إلى تأويل ولا اجتهاد مثال ذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾[١].

فالنصف والربع لفظان لا يحتملان إلا معنى واحدا ولذلك فهما قطعيا الدلالة.[٢] وأمثال هذا كثير في القرآن الكريم.

٢- ومن الأحكام ما تكون ظنية الدلالة ، أي أنها تحتمل أكثر من معنى وهذا النوع يحتمل التأويل والاجتهاد ومثال ذلك قوله تعالى:﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾[٣] فلفظ القرء من الألفاظ التي تحتمل أكثر من معنى فإنه يطلق على الطهر وعلى الحيض، فدلالة الآية على أحدهما ظنية لا قطعية، ويترجح أحد المعنيين على الآخر بالقرائن.[٤]

---

(١) سورة النساء ــ من الآية: ١٢.

(٢) ينظر أصول السرخسي: ١/٢٧٧-٢٧٩ وأصول الفقه ــ لبدران: ٩٣-٩٤ والوجيز ــ لعبد الكريم زيدان: ١٣٠.

(٣) سورة البقرة ــ من الآية: ٢٢٨.

(٤) ينظر التلويح على التوضيح ــ للتفتازاني: ١/٣٥ وأصول الفقه الإسلامي ــ لمحمد شلبي: ٩٥ وعلم أصول الفقه ــ لعبد الوهاب خلاف: ٣٣-٣٤.

٣- وقد تكون الدلالة قطعية من جهة وظنية من جهة أخرى، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾[١] فالنص الشريف يدل دلالة قطعية على وجوب المسح بلا خلاف، ويدل دلالة ظنية على المقدار الواجب مسحه من الرأس، والذي فيه خلاف بين الفقهاء ولكل منهم اجتهاده في هذه المسألة.[٢]

وعليه فإن لهذا التنوع مزية عظمة للقرآن لأنها تنقل الساعي للفهم من إثارة عواطفه بالإيجاز إلى حب استطلاعه للإطناب. وهكذا في جميع عرضه للأحكام والقصص والحوادث ولهذا كله يجب على المفسر أن يكون كتاب الله موئله الأول لفهم بعضه بعضا لأن القرآن الكريم كلام الله وصاحب الكلام أعلم وأعرف من غيره بمعانيه ومراميه، لذلك يعد تفسير القرآن بالقرآن ضابطا تفسيريا لا يجوز لمفسر أن يتجاوزه لأنه يفسر بعضه بعضا، ولكن على المفسر إن أراد أن يصل إلى المعاني الحقيقية ويكون أكثر دقة وصوابا عليه أن يلتزم بما يأتي ليحقق مهمة هذا الضابط التفسيري وهي:

أ. حمل مجمل القرآن على المبين.[٣]

ب. حمل المطلق على المقيد.[٤]

ج. حمل العام على الخاص.[٥]

---

(١) سورة المائدة ــ من الآية: ٦.

(٢) ينظر أصول الفقه ــ لبدران: ٦٢ وأصول الفقه الإسلامي ــ لمحمد شلبي: ٩٤-٩٥.

(٣) ينظر مناهل العرفان ــ للزرقاني: ١/٤٨٠.

(٤) ينظر مسلم الثبوت ــ لمحب الله بن عبد الشكور: ١/٣٦١.

(٥) ينظر التفسير والمفسرون ــ للذهبي: ١/٣٩.

د. الجمع بين ما يتوهم أنه مختلف، كخلق آدم من تراب في بعض الآيات، ومن طين في غيرها.(١)

ه. تفسير ما جاء موجزا بما ورد مسهبا.(٢)

و. حمل بعض القراءات على البعض الآخر.(٣)

ز. معرفة الناسخ من المنسوخ.(٤)

ح. رد الآيات المتشابهات إلى الآيات المحكمات.(٥)

ط. وضع الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم في اعتبار المفسر لأنها عون على الفهم وكشف إشكالاته وتوضيح معانيه.(٦)

ومما تقدم يتضح لنا أن القرآن الكريم يعد الضابط الأول للتفسير، ولا يمكن لأي مفسر يتصدى لتفسير القرآن الكريم ما لم يكن متضلعاً بالضوابط المتقدمة لأنها باب ولوجه ومفتاح أسراره.

المطلب الثاني

السنة الشريفة

لاشك أن السنة المطهرة مصدر من مصادر التشريع ودليل من أدلة الأحكام يجب الأخذ بها والعمل بمقتضاها فالقرآن الكريم أوجب طاعته وأخذ عنه بقوله:

---

(١) ينظر دراسات في أصول تفسير القرآن ــ للدكتور محسن عبد الحميد: ١٠٠.

(٢) ينظر المصدر نفسه: ١٠٠.

(٣) ينظر التفسير والمفسرون: ١/٤٠.

(٤) ينظر أصول الفقه الإسلامي ــ لبدران: ٤٣٥.

(٥) ينظر البرهان ــ للزركشي: ٢/٧١.

(٦) ينظر التفسير والمفسرون ــ للذهبي: ١/٤١.

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[1] وفي السنة ما يؤكد حجيتها منها قوله صلى الله عليه وسلم: (الا اني أوتيت الكتاب ومثله معه)[2] هذا وإن الأمة أجمعت على وجوب الأخذ بأقوال الرسول وأفعاله وتقريراته ولم ينكر أحد منهم ذلك ومما يدل على تمسكهم هذا ما ورد عن أبي بكر (رضي الله عنه) أنه: (إذا ورد عليه حكم نظر في كتاب الله تعالى فإن وجد ما يقضي به قضى به، وإن لم يجد في كتاب الله نظر في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن وجد ما يقضي به قضى به...)[3] هذا وإن العقول السليمة المدركة الواعية تحكم بحجيتها لأنها عون على تفسير القرآن بما تبينه وتزيل اشكاله، ولذلك من أنكرها وترك العمل بها فقد أنكر شطراً من شريعة الله وخالف النصوص القاضية باتباعها وعليه فإن (ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية ولا يخالف في ذلك إلا من لاحظ له في دين الإسلام)[4] ولذلك فإنها تعد ضابطاً تفسيرياً مهماً بعد القرآن الكريم، ولا يجوز لمفسر ما أن يتجاوزها لأنها:

أ. أكدت وطابقت بعض أحكام القرآن الكريم.[5]

ب. فصلت السنة الشريفة ما ورد مجملاً في القرآن الكريم.[6]

ج. ازالت الأشكال في بعض الآيات.[7]

---

(١) سورة الحشر ــ من الآية: ٧.

(٢) سنن أبي داود: ٢٧٩/٤.

(٣) اعلام الموقعين ــ لابن القيم: ٦٢/١.

(٤) إرشاد الفحول ــ للشوكاني: ٣٣.

(٥) ينظر أصول الفقه الإسلامي ــ لمحمد شلبي: ١١٥.

(٦) ينظر الاحكام ــ للآمدي: ٢٤/٣.

(٧) صحيح البخاري: ٣١/٦.

د. بينت معنى الألفاظ ومتعلقاتها.[١]

ه. قيدت السنة مطلق القرآن.[٢]

و. خصصت السنة عموم القرآن.[٣]

ز. جاءت السنة بأحكام سكت عنها القرآن الكريم.[٤]

ح. جواز نسخها للقرآن عند بعض العلماء.[٥]

وعليه فعلى المفسر أن يتمسك بما ورد أعلاه لأن ذلك يعصمه من الشطط في القول لأن (سنة رسول الله مبينة عن الله معنى ما أراد: دليلا على خاصه وعامه، ثم قرن الحكمة بها بكتابه فاتبعها إياه، ولم يجعل هذا لأحد من خلقه غير رسوله)[٦].

ومما يعزز هذا الكلام ويوثقه قوله صلى الله عليه وسلم: (لا الفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه).[٧]

---

(١) ينظر الدر المنثور ــ للسيوطي: ٣٩/١.

(٢) ينظر الاحكام ــ للآمدي: ١٧/٣.

(٣) إرشاد الفحول ــ للشوكاني: ١٥٧.

(٤) المصدر نفسه: ٣٣.

(٥) ينظر أصول السرخسي: ٧٢/٢ والسنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ــ للسباعي: ٤٤٥-٤٤٦.

(٦) الرسالة ــ للشافعي: ٧٩.

(٧) سنن أبي داود: ٢٨٠/٤ وسنن الترمذي: /١٣٢ وسنن ابن ماجه: ٧/١ وسنن الدارمي: ١٤٤/١ وصحيح ابن حبان: ١٤٨/١ ويقول الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

مما تقدم فإن السنة تعد من أهم ضوابط التفسير لكتاب الله ولا يمكن الاستغناء عنها لكونها صادرة عن مفسر القرآن الأول رسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم) الذي لا ينطق عن الهوى.

المبحث الثاني

القواعد اللغوية لفهم النص القرآني

إن أي مفسر مهما كانت منزلته العلمية لابد من أن يكون متبحراً وعارفاً باللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم معرفة دقيقة وشاملة من حيث مفرداتها وتراكيبها وأساليب تعبيرها ومصطلحاتها وخيالها، ولذلك فبحث القواعد اللغوية التي تتعلق بألفاظها من جهة الوضع والاستعمال والدلالة والكيفية تكون من الضرورة بمكان لارتباطها ومعاضدتها للضوابط الأخرى وعليه سأبحث ذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول

وضع اللفظ للمعنى

إن اللفظ بالنسبة لوضعه للمعنى يكون على ثلاثة أقسام هي: الخاص والعام والمشترك فعلى الباحث الذي يسلك المنهج التحليلي أن يضع هذه الأقسام موضع التنفيذ في آلية عمله وفيما يأتي إيضاح لهذه الأقسام في الفروع الآتية:

الفرع الأول

الخاص

الخاص: هو (كل لفظ وضع لمعنى واحد على الانفراد)[1] وهو على ثلاثة أنواع: خاص عيني كأسماء الأعلام، وخاص جنسي ويشمل جنساً معيناً كقولك إنسان، وخاص نوعي كقولك رجل وفرس.[2] وبما أن اللفظ يدل على معناه دلالة قطعية وبدون إشكال فإن الحكم يثبت لمدلوله على سبيل القطع، وهو لا يحتمل غيره.[3] ومثاله قوله تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾[4] فالحكم المستفاد من النص هو وجود إطعام عشرة مساكين، ولا يحتمل لفظ العشرة نقصاً أو زيادة، وفي حالة وجود ما يصرف لفظ الخاص عن المعنى الحقيقي لا تكون دلالته قطعية فقولنا: قتل الحاكم المجرم، يحتمل أن الحاكم حكم عليه بالقتل، وهذا واضح لأن عمل الحاكم إصدار الحكم لا تنفيذه، وهذا دليل صرف معنى اللفظ الحقيقي إلى غيره.[5] ولما كان اللفظ الخاص قد يرد مطلقاً أو مقيداً أو أمراً أو نهياً فيجب على الباحث معرفة الآتي:

أ. **المطلق**: هو(اللفظ الدال على مدلول شائع في جنسه)[6] ولما كان كذلك فيجري المطلق على إطلاقه، ولا يجوز تقييده بأي قيد إلا في حالة قيام دليل يقتضي ذلك، وعليه تكون دلالة المطلق على المعنى قطعية ويثبت الحكم

---

(١) أصول البزدوي: ٣٠/١ وأصول السرخسي: ٢٤/١.

(٢) أصول السرخسي: ١٢٥/١ وأصول الفقه ــ لمحمد شلبي: ٣٧٦/١.

(٣) المصدر نفسه: ١٢٨/١.

(٤) المائدة ــ من الآية: ٨٩.

(٥) ينظر أصول الفقه ــ لبدران: ٢٤٤.

(٦) كشف الأسرار ــ لعلاء الدين البخاري: ٢٨٦/٢.

لمدلوله.[1] ففي قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ﴾[2] فلفظ رقبة ورد مطلقاً لم يقيده أي قيد، ولذلك تحرر رقبة بغض النظر عن أوصافها.[3] أما إذا ورد دليل يقيد المطلق كما في قوله: ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾[4] فورود فيه الخطأ جعل الكفارة فيه دون غيره وقيدت الرقبة بالإيمان فلا تجزئ الكافرة.[5]

ب. **المقيد:** هو (ما كان من الألفاظ الدالة على مدلول معين كزيد ورجل)[6] ويعمل بالمقيد على تقييده إلا إذا قام دليل على إطلاقه ومثال المقيد الباقي على تقييده قوله سبحانه: ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ﴾[7] فالقيد الوارد في النص هو التتابع في صوم الشهرين ولا يجوز تفرقتهما وكذلك ورد مقيدا يكون قبل الاختلاط بالزوجة ولعدم ورود ما يلغي القيدين فيبقيان كما وردا. ومثال إلغاء التقييد لورود دليل قوله تعالى: ﴿ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾[8] فلفظ ربائبكم في الآية مطلق ولورود التقييد كون الربيبة في رعاية زوج

---

(١) ينظر البرهان ــ للزركشي: ١٥/٢.

(٢) المجادلة ــ من الآية: ٣.

(٣) ينظر شرح الكوكب المنير ــ لابن النجار: ٣٩٢/٣.

(٤) النساء ــ من الآية: ٩٢.

(٥) أصول الفقه ــ لمحمد شلبي: ٣٩٧/١-٣٩٨.

(٦) كشف الأسرار ــ لعلاء الدين البخاري: ٢٨٦/٢.

(٧) المجادلة ــ من الآية: ٤.

(٨) النساء ــ من الآية: ٢٣.

أمها مدخولا بها فالقيد الأول لا يكون من قيود التحريم لقيام الدليل لكونه الغالب من تصرفات الناس وجرياً على عادتهم وقد أشار النص بنفي الجناح عند عدم الدخول، أما القيد الثاني فإنه يبقى على حاله لعدم ورود ما يصرفه، فلا تحرم الربيبة إلا في حالة دخول الزوج بأمها. فعلى المفسر أن يعمل بالمقيد ولا يجوز له أن يعدل عنه إلا في حالة قيام دليل يلغي التقييد.[1] ولكن قد يأتي اللفظ مطلقاً في نص ومقيداً في نص آخر ففي هذه الحالة يعمل بالآتي:

١. إذا كان المطلق والمقيد يختلفان في الحكم والسبب فلا يحمل المطلق على المقيد لعدم وجود صلة بينهما.[2]

٢. إذا اتفق المطلق والمقيد بالسبب والحكم يحمل المطلق على المقيد فالدم حرم مطلقاً في آية ومقيداً بالمسفوح في آية أخرى ففي هذه الحالة يحمل المطلق على المقيد ويكون الدم المحرم هو الدم المسفوح، أما غيره كالطحال والكبد فغير محرم.[3]

٣. إما إذا اتفقا حكماً واختلفا سبباً كما في لفظ رقبة فإنها جاءت مطلقة في كفارة الظهار ومقيدة بالإيمان في قتل الخطأ فمن العلماء من ذهب إلى تقييده واستدلوا بأن كلام الله متحد في ذاته، فلا تعدد فيه فوجب حمل المطلق على المقيد دفعاً للتعارض. فيما ذهب آخرون إلى عدم جواز التقييد واستدلوا بأن اختلاف السبب الذي هو الظهار والقتل الخطأ هو الذي دعا إلى الإطلاق والتقييد، ولذلك حملوا المطلق على إطلاقه والمقيد على تقييده، وهذا هو

---

(١) ينظر أصول الفقه ــ لبدران: ٢٤٧.

(٢) ينظر فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت ــ لمحب الله بن عبد الشكور: ١/٣٦١.

(٣) المصدر نفسه: ١/٣٦١.

الراجح لأنه بناسب الحكم ففي القتل الخطأ قيدت الرقبة تشديداً على من يقدم على هذا العمل، وفي الظهار أطلقت الرقبة تخفيفاً على المظاهر انطلاقاً من الحرص واستمرار النكاح، زيادة على أن اختلاف السبب لا يحقق التعارض بين النصين ولذلك لا حاجة لحمل المطلق على المقيد لكي ندفع تعارضهما.(١)

٤. أما إذا اتفق المطلق والمقيد بالسبب واختلفا بالحكم (فلا خلاف أنه لا يحمل أحدهما على الآخر بوجه من الوجوه سواء كانا مثبتين أو منفيين أو مختلفين اتحد سببهما أو اختلف)(٢) فآيتا الوضوء والتيمم متفقتان بالسبب وهو إرادة الصلاة، ومختلفتان بالحكم ففي الوضوء غسل الأيدي مقيدة بالمرافق وفي التيمم مسح الأيدي مطلقة، فعلى المفسر أن يعمل بكل من الآيتين بموضعه بموجب الإطلاق والتقييد.(٣)

ج. الأمر: هو (طلب الشيء على جملة الاستعلاء)(٤) ويتحقق بالصيغ الآتية: صيغة الأمر (إفعل) وصيغة المضارع المقترن باللام، ولفظ الأمر والتعبير بمادة الكتابة كما تأتي على هيئة جملة خبرية.(٥)

وصيغة الأمر تستعمل في وجوه عديدة باتفاق الأصوليين وهي: الوجوب والندب والارشاد والإباحة والتأديب والامتنان والتهديد والإنذار والتسخير والإهانة والتسوية والدعاء وكمال القدرة والاحتقار والتفويض والمشورة والاعتبار

---

(١) ينظر الاحكام ــ للأمدي: ٣/٥-٦ وإرشاد الفحول ــ للشوكاني: ١٦٥.

(٢) إرشاد الفحول ــ للشوكاني: ١٦٦.

(٣) ينظر أصول الفقه ــ لمحمد شلبي: ١/٤٠٦-٤٠٧.

(٤) المحصول ــ للرازي: ١/٢٢.

(٥) ينظر شرح الاسنوي: ٢/١٥ والاحكام ــ للأمدي: ٢/١٣١-١٣٢.

والتبصير.[1] وقال العلماء من فقهاء ومتكلمين إلى أن الأمر حقيقة في أحد معانيه دون اشتراك مع غيره، ودلالته حقيقة مستمدة من أصل الوضع وفي غيره مجاز، ولكنهم اختلفوا في هذا الواحد هل هو حقيقة أو ندب أو إباحة، فمنهم من قال إنه حقيقة في الندب مجاز في غيره، وذهب آخرون إلى القول إلى أنه الإباحة، فيما ذهب الجمهور إلى أنه حقيقة في الندب مجاز في غيره فلا يصرف إلى غيره إلا بوجود قرينة.[2]

أما دلالة الأمر على التكرار فمن الأصوليين من عد الصيغة موضوعة لمطلق الطلب وهو الراجح، فيما قال آخرون بأنها تدل على التكرار وتوقف آخرون.[3]

فتكون دلالة الأمر كما يأتي: فمن قال أن الصيغة تفيد التكرار ذهب إلى القول إلى أن الأمر موضوع لأداء المأمور به فورا وقال الواقفية بالتوقف، فيما ذهب الذين قالوا بالتراخي إلى أن طلب الفعل إما أن يكون مقيدا بوقت، وإما أن يكون غير مقيد بوقت، فالمقيد بالوقت إما أن يكون مقيدا بوقت موسع أو بوقت مضيق وعليه فالوقت الموسع يجوز فيه أداء الواجب في أي لحظة خلال الوقت حتى آخره أما المقيد بوقت مضيق فلا يجوز تأخير الأداء لأنه لا يحتمل ذلك. أما غير المقيد بوقت محدد فيجوز أداء الفعل على الفور أو التراخي كالأوامر الواردة في أداء الكفاءات وهذا الرأي هو الراجح لقوة أدلته ولتأييد العقل له ولأن الإنسان معرض في حياته إلى ما يوهن مقدرته على الأداء كالمرض وغيره زيادة على

---

(١) ينظر أصول البزدوي: ١/١٠٨ والمحصول ـ للرازي: ١/٥٨-٦٠.

(٢) ينظر إرشاد الفحول ـ للشوكاني: ٩٤ والأحكام ـ للآمدي: ٢/١٣٣-١٣٤.

(٣) ينظر كشف الأسرار ـ للبخاري: ١/١٢٢ وشرح الاسنوي: ٢/٣٦-٣٧ وجمع الجوامع ـ للسبكي: ١/٣٨٠ ونهاية السول ـ للبيضاوي: ٢/٢٧٤.

خفاء أجله الذي لا يعلمه إلا الله وعليه تستحب الفورية ابرار للفرقة من واجب الأداء يقول سبحانه: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[1]. هذا وإن الأمر بالشيء نهي عن ضده بمعناه الأعم لأن(اللازم بالمعنى الأعم هو أن يكون تصور الملزوم واللازم معا كافيا في الجزم باللزم بخلاف اللازم بالمعنى الأخص فإن العلم بالملزوم هناك يستلزم العلم باللازم وهكذا النهي عن الشيء فإنه يستلزم الأمر بضده بالمعنى الأعم)[2].

د. النهي: خلاف الأمر[3] ويعني (القول الإنشائي الدال على طلب الكف عن فعل على جهة الاستعلاء)[4] وصيغته لا تفعل وما بمعناه وتلحق بها أسماء الأفعال صه ومه وتستعمل هذه الصيغة في سبعة معان هي: التحريم والكراهة والدعاء والإرشاد وبيان العاقبة والتأديب واليأس.[5]

والمعنى الحقيقي للنهي هو التحريم ولا ينصرف عن هذه الصيغة إلا بقرينة، وتأتي صيغه المستعملة الأخرى مجازا. وعده آخرون إنه حقيقة في الكراهة فيما عده آخرون مشتركا بين التحريم والكراهة والقول الأول هو الراجح يقول الشافعي (وما نهى عنه فهو على التحريم حتى تأتي دلالة منه أنه أراد غير التحريم)[6].

---

(١) المائدة ــ من الآية: ٤٨.

(٢) ينظر إرشاد الفحول ــ للشوكاني: ١٠٢.

(٣) ينظر لسان العرب ــ لابن منظور: ١٥/٣٤٣-٣٤٤.

(٤) إرشاد الفحول ــ للشوكاني: ١٠٩.

(٥) ينظر شرح الاسنوي: ٢/٥٣.

(٦) المصدر نفسه: ٢/٥٣ ونهاية السول ــ للبيضاوي: ٢/٢٩٤.

وصيغة النهي تستلزم الانتهاء من المنهي عنه فورا وعلى الدوام، فالمكلف إذا امتثل لذلك يكون قد برأ ذمته مما يترتب على المخالف من عقوبة.[1] والنهي قد يقتضي فساد المنهي عنه ويعد باطلا سواء كان في العبادات أو المعاملات إذا كان النهي متعلقا بذات الفعل كالصلاة بلا وضوء.

أما إذا كان متعلقا بأمر خارج عن ذات الفعل أو لجزئه فإن أثر النهي هو الكراهة وليس الفساد كالبيع وقت الآذان لصلاة الجمعة فالفعل تلحقه وتترتب عليه الآثار الشرعية ولكن تلحقه الكراهة لنهي الشارع الحكيم عنه ويعد آثما لمخالفته الصريحة للنهي. أما إذا كان النهي مقترنا بدليل يدل على أن النهي كان لوصف المنهي عنه كصوم يوم العيد، فالجمهور قالوا: بفساده وبطلانه فيما ذهب الأحناف إلى القول بفساده وبطلانه إن كان الفعل من العبادات وقالوا بالفساد إن كان من المعاملات.[2]

الفرع الثاني

العام

العام: هو (اللفظ الدال على مسميين فصاعدا مطلقا معا)[3] وللعام صيغ كثيرة أهمها:

١. الجمع المعرف ويشمل التعريف بأل الاستغراقية والتعريف بالإضافة والمعرف بأل العهدية.
٢. النكرة إذا وقعت في سياق النفي أو النهي أو الشرط.
٣. أسماء الشرط.

---

(١) ينظر شرح الاسنوي: ٢/٥٣ والاحكام ــ للآمدي: ٢/١٨٠-١٨١.
(٢) ينظر نهاية السول ــ للبيضاوي: ٢/٣٠٤-٣٠٥ والاحكام ــ للآمدي: ٢/١٧٥-١٧٦.
(٣) الاحكام ــ للآمدي: ٢/١٨٢.

٤. الأسماء الموصولة.

٥. أسماء الاستفهام.

٦. الجمع المذكر.

٧. المفرد المعرف بال الاستغراقية أو الإضافة.

واللفظ العام الذي تتضمنه النصوص ولم تقم قرينة تصرفه عن معناه فإنه يفهم على عمومه ويشمل جميع أفراده، ودلالته تكون قطعية وما دام كذلك فأن الحكم يكون قطعيا وهذا ما ذهب إليه الحنفية، واستدلوا بأن العام وضع لاستغراق جميع ما يصلح له لذلك يجب أن يراد به المعنى الذي وضع له حتى تقوم قرينة تخصصه.

أما الجمهور فذهبوا إلى القول بأن دلالته ظنية لا قطعية منطلقين من قولهم المشهور(أنه لا عام إلا وهو مخصوص)[١] والذي يديم التفكير يجد إن العام عند الجميع يجب العمل بعمومه الوارد حتى تقوم قرينة تخصصه، فالذين قالوا بقطعيته يريدون أن لا يخصص إلا بدليل والقائلون بدلالته الظنية يريدون أنه يخصص بالدليل وما أرادوا بأنه يحتمل التخصيص مطلقا وبهذا لا خلاف بين الرأيين.[٢]

والعام على ثلاثة أنواع هي:

١- عام دلالته على العموم قطعية إذا صحبته قرينة تنفي احتمال تخصيصه ومثاله قوله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[٣] فالسنة الإلهية التي تشير إليها الآية لا تخصص ولا يطرأ عليها تغيير.[٤]

---

(١) الاحكام للأمدي: ٢/٢٦٠ و إرشاد الفحول ــ للشوكاني: ١٤٣.

(٢) ينظر علم أصول الفقه ــ لعبد الوهاب خلاف: ٢٠٦-٢٠٨ والوجيز ــ لعبد الكريم زيدان: ٢٦٥-٢٦٦.

(٣) الأنبياء ــ من الآية: ٣٠.

(٤) ينظر علم أصول الفقه ــ لعبد الوهاب خلاف: ٢٠٩.

٢- عام يراد به الخصوص قطعا وذلك لقيام الدليل الذي يؤكد أن المراد بهذا العام بعضهم لا كلهم كما في قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[١] فالعموم واضح من ألفاظ النص ولكنه موجه للمكلفين أصحاب الأهلية فيخرج منهم فاقديها كالأطفال والمجانين أو الذين لا يملكون الزاد والراحلة.[٢]

٣- عام مخصوص: وهو العام المطلق الذي لم تصحبه قرينة تنفي احتمال تخصيصه ولا قرينة تنفي دلالته على العموم مثل أكثر النصوص التي وردت فيها صيغ العموم مطلقة عن القرائن لفظية أو عقلية أو عرفية تعين العموم أو الخصوص، وهذا ظاهر في العموم حتى يقوم الدليل على تخصيصه)[٣] كقوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾[٤].

ومما تقدم يظهر لنا أن هناك فرقا بين العام المراد به الخصوص والعام المخصوص هو: إن العام الذي أريد به الخصوص هو ما كان مصحوبا بالقرينة عند التكلم به على إرادة المتكلم به بعض ما يتناوله بعمومه.

أما العام المخصوص فهو الذي لا تقوم قرينة عند التكلم به على أنه أراد بعض أفراده فيبقى متناولا لأفراده على العموم)[٥]

ومخصص العام على نوعين منفصل ومتصل وفيما يأتي بيان ذلك:

---

(١) آل عمران ــ من الآية: ٩٧.

(٢) ينظر أصول الفقه ــ لمحمد شلبي: ١/٤١٦.

(٣) علم أصول الفقه ــ لعبد الوهاب خلاف: ٢٠٩.

(٤) البقرة ــ من الآية: ٢٢٨.

(٥) إرشاد الفحول ــ للشوكاني: ١٤١.

١- المخصص المنفصل: هو ما يستقل بنفسه، ويدل على المراد دون أن يحتاج إلى ذكر العام وذلك لاستقلاله عنه[١] ويكون على الأنواع الآتية: العقل والحس والقرآن بالقرآن والقرآن بالسنة والقياس والمفهوم والإجماع والعرف والعادة ومذهب الصحابي والسياق والمصالح المرسلة.[٢]

٢- المخصص المتصل: وهو ما لا يستقل بنفسه بل يتعلق معناه باللفظ الذي قبله ويكون التخصيص بالاستثناء والشرط والصفة والغاية، وبدل البعض من الكل والتخصيص بالحال والتمييز والظرف والجار والمجرور والمفعول له والمفعول معه.[٣]

والعام إذا خص بدليل مبهم كقولنا اقتلوا المشركين إلا بعضهم، ففي هذه الحالة لا يكون العام حجة على أي فرد من المشركين باتفاق العلماء، وذلك لأنه ما من فرد منهم إلا ويمكن أن يكون هو من البعض المخرج من القتل[٤] وزيادة على ذلك ان (أخرج المجهول من المعلوم يصيره مجهولاً)[٥].

أما إذا خص العام بدليل مبين فقد اختلفوا في ذلك على الأقوال الآتية:

---

(١) ينظر أصول الأحكام وطرق الاستنباط في التشريع الإسلامي ــ د.حمد الكبيسي: ٢٩٤.

(٢) ينظر الاحكام ــ للآمدي: ٢/٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٠١، ٣٠٤، ٣٠٥ وإرشاد الفحول: ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٢ والرسالة ــ للشافعي: ٦٣ ومالك ــ لأبي زهرة: ٤٢١، ٢٩٧ ودراسات في أصول التفسير ــ للدكتور محسن عبد الحميد: ٣١، ٣٨، ٣٩.

(٣) الاحكام ــ للآمدي: ٢/٢٦٥، ٢٦٩، ٢٦٧، ٢٧٨، ٢٨٩، ٢٩١ وإرشاد الفحول ــ للشوكاني: ١٤٦، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥ والمستصفى ــ للغزالي: ٢/١٨١ ودراسات في أصول التفسير ــ للدكتور محسن عبد الحميد: ٣١-٣٣.

(٤) ينظر إرشاد الفحول ــ للشوكاني: ١٣٧ والاحكام ــ للآمدي: ٢/٢١٣.

(٥) إرشاد الفحول ــ للشوكاني: ١٣٧.

أ- ذهب الجمهور إلى أنه حجة في الباقي بدليل ثبوت استدلال السلف ومن بعدهم بالعمومات المخصوصة زيادة على أنه ما من عموم إلا وقد خص ولا يوجد عام غير مخصص.(١)

ب- وذهب آخرون إلى أنه غير حجة في الباقي لأن (الصيغة الموضوعة للعموم إذا خصت صارت مجملة ولا يجوز الاستدلال في بقية المسميات إلا بدليل كسائر المجازات)(٢).

لأن العموم حقيقة غير مراده مع تخصيص البعض وسائر ما تحته من المراتب مجازات، وإذا كانت الحقيقة غير مراده وتعددت المجازات كان اللفظ مجملاً فيها فلا يحمل على شر منها، وأجيب بأن ذلك إنما يكون إذا كانت المجازات متساوية ولا دليل على تعين أحدها.(٣)

وأقل الجمع اثنان وهذا ما ذهب إليه الجمهور بدليل قوله سبحانه: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾(٤) وأراد لفظ (بهم) يوسف وأخاه ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم (الاثنان فما فوقهما جماعة)(٥) فيما ذهب آخرون إلى أن أقل الجمع ثلاثة والراجح قول الجمهور لأدلتهم القوية.

---

(١) ينظر إرشاد الفحول ــ للشوكاني: ١٣٧ والاحكام ــ للآمدي: ٢/٢١٤.

(٢) المصدران نفسهما: ١٣٧-١٣٨ و ٢/٢١٣-٢١٥.

(٣) المصدران السابقان: ١٣٧-١٣٨ و ٢/٢١٣-٢١٥.

(٤) سورة يوسف ــ من الآية: ٨٣.

(٥) سنن الدارقطني: ١/٢٨٠-٢٨١ والمستدرك ــ للحاكم: ٤/٣٣٤.

الفرع الثالث

المشترك

المشترك: هو (اللفظة الموضوعة لحقيقتين أو أكثر وضعاً أولاً حيث هما كذلك)[1] واختلف العلماء في وقوعه في لغة العرب فمنهم من قال بأنه واجب الوقوع وذهب آخرون إلى أنه ممتنع فيما ذهبت مجموعة أخرى بجواز وقوعه، والراجح من الأقوال أنه جائز الوقوع لعدم امتناعه عقلاً ويؤيد الشوكاني وقوع المشترك بقوله (فلا يخفاك أن المشترك موجود في هذه اللغة العربية لا ينكر ذلك إلا مكابر كالقرء فإنه مشترك بين الطهر والحيض مستعمل فيهما من غير ترجيح وهو معنى الاشتراك وهذا لا خلاف فيه بين أهل اللغة)[2].

أما حكم المشترك فيتفق الأصوليون أن الاشتراك خلاف الأصل، لكنهم اختلفوا في حالة ورود لفظ مشترك ولا توجد قرينة ترجح أحد معانيه ففي هذه الحالة هل تراد كل المعاني.

ويترتب ما يرد عليها على كل معنى منها أو لا يصح وعلينا التوقف من الأخذ بأحد المعاني حتى يرد دليل يعين أحد معانيه وفيما يأتي بيان لآراء العلماء وترجيح أحدهما

فالجمهور ذهبوا إلى القول بجواز استعمال المشترك في جميع معانيه.[3]

وذهب الحنفية إلى القول بعدم جواز استعمال المشترك في جميع معانيه.[4]

---

(١) إرشاد الفحول ــ للشوكاني: ١٩.

(٢) المصدر نفسه: ١٩.

(٣) شرح الاسنوي: ١/٢٣٤.

(٤) المصدر نفسه: ١/٢٤٠.

وذهب آخرون إلى جواز استعمال المشترك في كل معانيه في النفي دون الإثبات.[1]

وعلى ما تقدم من تباين في الآراء فالراجح منها: (إن المشترك إذا دل على أحد معانيه بقرينة تبينه حملناه عليه، وإذا لم يكن هناك مبين ولم يكن هناك مانع في حمله على جميع معانيه حملناه إذ كلما استطعنا أن نحمل كلام الله على معاني أكثر وأوسع في هذه الحدود كان أفضل حتى تعم الفائدة لجميع الناس)[2].

الفرع الرابع

المؤول

المؤول: هو (حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر مع احتماله له بدليل يعضده)[3] والأصل عدم صرف اللفظ عن الظاهر، وإذا أرد ذلك لابد من دليل يستند إليه ويدعمه، ويجب أن يكون الدليل مقبولاً ولذلك كان التأويل على قسمين: صحيح مقبول وهو ما صحت شروطه، وفاسد مردود وهو ما لم تتوفر فيه شروط التأويل الصحيح.[4]

وللتأويل شروط لابد للمؤول التزامها وهي:

١. أن يكون التأويل موافقاً للوضع اللغوي وعرف الاستعمال.
٢. وجود دليل يرشد إلى المعنى.
٣. في حالة التأويل بالقياس يجب أن يكون القياس جلياً لا خطياً.
٤. أن لا يعارض التأويل النصوص الشرعية.

---

(١) المصدر السابق: ١/٢٤٠.
(٢) دراسات في أصول تفسير القرآن ــ للدكتور محسن عبد الحميد: ٥٦.
(٣) الاحكام ــ للآمدي: ٣/٤٩ وأصول الفقه ــ لشلبي: ١/٤٥٧
(٤) ينظر إرشاد الفحول ــ للشوكاني: ١٧٧ والاحكام ــ للآمدي: ٣/٥٠.

٥. أن يحقق التأويل مصلحة عامة للمسلمين.

٦. أن لا يكون التأويل مؤدياً لسوء فهم والتباس ومفسدة بين المسلمين.

٧. لا يؤخذ بالتأويلات التي تخضع النصوص إلى النظريات والاحتمالات العلمية والعقلية التي لم يقم الدليل على إثباتها.

٨. يصار إلى التأويل عندما يستوجب الأمر ذلك للرد على من يخشى منه إفساد عقيدة المسلمين.

٩. إذا كان التأويل يهدف إلى إظهار البراعة العقلية أو الغور في أعماق الدلالات غير النافعة لا يؤخذ به لأنه يؤدي إلى عمل يعود نفعه على الإنسانية.(١)

وعليه فإن الأخذ بظاهر النصوص واجب ولا يجوز العدول عنه إلا بدليل يقتضي التأويل حيث يجعله سائغاً مقبولاً، والنصوص الشرعية منها ما تحمل أحكاماً أصلية ومنها ما تتضمن أحكاماً فرعية ولذلك فإنها تختلف بقبولها التأويل بناء على هذا التقسيم وأصبح ما يؤول قسمين:

١- النصوص التي تتضمن الأحكام التكليفية يدخلها التأويل المنضبط بشروطه سالفة الذكر، وهذا لا خلاف فيه بين العلماء.(٢)

٢- النصوص التي تتضمن الأحكام الأصلية كالعقائد وصفاته سبحانه وتعالى وفواتح السور فإنهم اختلفوا فيها على ثلاثة مذاهب:

أ/ قالت المشبهة والمجسمة لا يدخلها التأويل بل تؤخذ النصوص على ظاهرها، وهذا المذهب باطل لأنه يؤدي إلى التجسيم والتشبيه الناتجين من التمسك الحرفي بالنصوص وبالتالي مخالفة التنزيه المطلق له تقدس اسمه.

---

(١) ينظر إرشاد الفحول ــ للشوكاني: ١٧٧ والاحكام ــ للآمدي: ٣/٥٠.

(٢) ينظر إرشاد الفحول ــ للشوكاني: ١٧٦ وتفسير النصوص ــ لمحمد أديب صالح: ١/٣٧٦.

ب/ أن للنصوص تأويلاً لكننا لا نعرفه على وجه الحقيقة، ونفوض كيفية معانيها إلى الله سبحانه مقتدين بقوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1] وهذا مذهب السلف (رضي الله عنهم).

ج/ ما نقل عن علي وابن مسعود وابن عباس (رضي الله عنهم) أن النصوص مؤولة، والذي وسع دائرته كل من الجويني والغزالي والرازي ولكنهم رجعوا إلى مذهب السلف فيما بعد.[2]

والراجح ما ذهب إليه السلف الصالح، لأنه يعصم من التأويلات الظنية، والتي يتحمل تطرق الخطأ إليها ولذلك فتفويض علمها إلى الله اسلم لأنها لا تخص حكما تكليفيا وفي حالة الضرورة نأخذ بطريقة التأويل بشروطها لأنها أقرب إلى الحق.[3]

أما من له حق التأويل فكل إنسان تتوفر فيه الشروط التي تؤهله لهذا العمل مع معرفته بشروط التأويل وقيام الضرورة لذلك، لأنه إذا لم يكن بهذه المواصفات يقوده ذلك إلى مجانبة الحق وهذا ما لا يرتضيه دين.

---

(١) سورة آل عمران ــ من الآية: ٧.

(٢) ينظر إرشاد الفحول ــ للشوكاني: ١٧٦-١٧٧ وتفسير النصوص ــ لمحمد أديب صالح: ٣٧٧/١.

(٣) ينظر المسامرة بشرح المسايرة ــ للقدسي: ٣٧.

المطلب الثاني

استعمال اللفظ في المعنى

الفرع الأول

الحقيقة

الحقيقة: هي (اللفظ المستعمل فيما وضع له أولا في الاصطلاح الذي به التخاطب)[1].

والحقيقة على ثلاثة أنواع هي:

١. الحقيقة اللغوية وهي (اللفظ المستعمل فيما وضع له بعرف الاستعمال اللغوي)[2] ومثالها الصلاة في الدعاء.

٢. الحقيقة الشرعية: وهي (اللفظ المستعمل فيما وضع له بوضع الشارع)[3] كالزكاة.

٣. الحقيقة العرفية: وهي (التي انتقلت عن مسماها إلى غيره بعرف الاستعمال)[4].

والحقيقة العرفية على نوعين هما:

أ/ عرفية خاصة وهي الألفاظ المستعملة بالعرف الخاص وأهل العلم كالرفع والنصب والجزم عند أهل النحو.

ب/ عرفية عامة وهي الألفاظ التي تستعمل بالعرف العام كالدابة لذوات الأربع.[5]

---

(١) الاحكام ــ للآمدي: ٢٩/١ إرشاد الفحول ــ للشوكاني: ٢١.

(٢) الاحكام ــ للآمدي: ٢٨/١ ونهاية السول ــ للبيضاوي: ١٥٠/٢.

(٣) إرشاد الفحول ــ للشوكاني: ٢١.

(٤) المحصول ــ للرازي: ١/ق ٤١٠/١.

(٥) ينظر شرح الاسنوي: ٢٥١/١.

ومعرفة المفسر لأنواع الحقيقة من الضرورة بمكان للوصول إلى حقيقة المعنى اللغوي والشرعي والعرفي لكون الحقيقة وجهاً عظيماً لتفسير الآيات القرآنية. وقد تختلف هذه الحقائق فيعمل بما يأتي:

١. إذا اختلفت الحقيقة الشرعية والحقيقة اللغوية في تفسير كلام الله تعالى قدمت الشرعية.

٢. إذا اختلفت الحقيقة العرفية والحقيقة اللغوية في تفسير كلام الله تعالى قدمت العرفية.(١)

وحكم الحقيقة ثبوت المعنى الذي وضع له اللفظ (أمراً كان أو نهياً خاصاً كان أو عاماً)(٢) فقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ﴾(٣) فالأمر بالركوع والسجود حقيقة وكل منها خاص، أما الذين وجه إليهم الأمر بلفظ عام، ومن حكمها أنها ترجح على المجاز لكونها أصل والمجاز خلف عنها وفرع، ولا يؤخذ بالفرع إذا أمكن الأخذ بالأصل.(٤)

الفرع الثاني

المجاز

المجاز: هو: (اللفظ المتواضع على استعماله أو المستعمل في غير ما وضع له أولا في الاصطلاح الذي به المخاطبة لما بينهما من التعلق)(٥).

ويكون المجاز على الأنواع الآتية:

---

(١) ينظر قواعد الترجيح عند المفسرين ــ لحسين علي الحربي: ٢/٤٠١، ٤١٢.

(٢) أصول البزدوي: ٣٩/٢ وأصول السرخسي: ١٧١/١.

(٣) سورة الحج ــ من الآية: ٧٧.

(٤) شرح الاسنوي: ٢٧٨/١.

(٥) الاحكام ــ للآمدي: ٢٩/١ و إرشاد الفحول ــ للشوكاني: ٢١.

١. ما استعمل للشيء للترابط الوثيق والمشابهة القوية في صفة واضحة كإطلاق لفظ الأسد على الشجاع.

٢. ومن يأتي زائداً كما في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[١] فالكاف هنا جاءت للإفادة وإلا لكان استعمالها على وجه لا يفيد ولكان على خلاف الوضع.

٣. الحذف الذي لا يخل بالمعنى ولا يبطل التفهيم كقوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾[٢] ومعناها واسأل أهل القرية، والحذف هذا اعتاده العرب في توسع وتجوز.

٤. تسمية الشيء بضده كقوله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾[٣].

وهذه الأنواع كثيرة الوقوع في ألفاظ القرآن الكريم.[٤]

أما حكم المجاز فيثبت المعنى المجازي للفظ سواء كان عاماً أو خاصاً أمراً أو نهياً، يتعلق الحكم به، أما في حالة تعارض لفظ حقيقي وآخر مجازي فإنه يحمل على الحقيقة ما أمكن لأنها الأصل وعند التعذر يحمل على المجاز وذلك لكون اعمال الكلام خير من إهماله.[٥]

---

(١) سورة الشورى ــ من الآية: ١١.

(٢) سورة يوسف ــ من الآية: ٨٢.

(٣) سورة الشورى ــ من الآية: ٤٠.

(٤) ينظر المستصفى ــ للغزالي: ٣٤١/١ والمحصول للرازي: ١/ق٤٥١/١.

(٥) ينظر أصول البزدوي: ٣٩/٢ وأصول السرخسي: ١٧١/١.

وفي حالة تردد اللفظ بين المجاز والمشترك فقد تباينت آراء العلماء فيه والراجح منها حمل القول على المجاز لقوة الأدلة وفوائده الجمة ولمفاسد المشترك الكثيرة.(١)

الفرع الثالث

الصريح

الصريح: هو (كل لفظ مكشوف المعنى والمراد حقيقة أو مجازاً)(٢).

حكم الصريح: يثبت حكم اللفظ الصريح بمجرد التلفظ دون الالتفات إلى نية المتكلم أراد بذلك أم لم يرد، سواء كان اللفظ حقيقة أو مجازاً لأن عين اللفظ يقوم مقام المعنى في وقوع الحكم لكونه لفظاً صريحاً كلفظ (الطلاق) فإنه يثبت به الحكم عند التلفظ إذا توفرت صحة شروطه لأنه لفظ صريح وواضح الدلالة على معناه في حل الرابطة الزوجية، ومن المجاز قول القائل أكلت من هذه الشجرة فواضح الدلالة من أن أكل عين الشجرة مستبعد فينظر في الكلام إلى استعماله المجازي والذي يعني أكل ثمرها.(٣)

الفرع الرابع

الكناية

الكناية: (ما يكون المراد به مستوراً إلى أن يتبين بدليل)(٤).

والكناية على أنواع ثلاثة هي:

---

(١) ينظر إرشاد الفحول ــ للشوكاني: ٢٦-٢٧ ومحاضرات في أصول الفقه ــ لبدر المتولي: ٣٧/٢.

(٢) أصول السرخسي: ١٨٧/١.

(٣) ينظر اصول السرخسي: ١٨٨/١ وأصول الفقه ــ لمحمد شلبي: ٤٤٥/١.

(٤) أصول السرخسي: ١٨٧/١.

١. كتابة عن موصوف نحو مجامع الأضغان حيث مراد بها القلب.
٢. كناية عن صفة نحو: كثير الرماد، كناية عن المضياف.
٣. كناية عن نسبة نحو: المجد بين ثوبيه، والكرم بين برديه ففي الكلام صفتين ثبتت للمخاطب منسوبين إلى ثوبيه وبرديه.[١]

وحكم الكناية: لا يثبت إلا بنية أو قيام قرينة تقوم مقامها ولذلك لاشتهار المراد من اللفظ، وعليه فلا يقام الحد على من قال لقاذف يتكلم صدقت من غير أن يذكر المفعول لأنه ربما أراد بدينه الصدق، ويحتمل أنه أراد بأنه صادق في قذفه.[٢]

الفرع الخامس

حروف المعاني

حرف المعنى: هو (الذي جاء لمعنى تتعدم خاصية الاسم والفعل فيه ويظهر المعنى في غيره)[٣].

وعليه فإن هذه الحروف لا تظهر معانيها إلا بانتظامها في محل، وهي كثيرة ولبعضها معان متعددة ولذلك تعد معرفتها من لدن المفسر من الضرورة بمكان لقيمتها الكبيرة في الإفصاح عن المعاني القرآنية، وهي: حروف العطف[٤]

---

(١) ينظر الإيضاح ــ للقزويني: ٣٢٤/٢.
(٢) ينظر أصول السرخسي: ١٨٨/١-١٨٩ ومسلم الثبوت ــ لمحب الله بن عبد الشكور: ٢٢٩/١.
(٣) المنخول ــ للغزالي: ٨٠.
(٤) ينظر المحصول ــ للرازي: ١/ق٥٠٧/١ و٥٢٢ ومغني اللبيب ــ لابن هشام: ٦٤/١، ١٢٠، ١٢٤، ١٣٦، ١٧٤، ٢٦٦، ٣٢٢، ٣٩١.

وحروف النفي[١] وحروف الاستفهام[٢] وحروف الجواب[٣] وحروف التوكيد[٤] وحروف العرض[٥] وحروف التحضيض[٦] وحروف الاستفتاح والتشبيه[٧] وحروف التمني[٨] وحرفا الاستقبال[٩] وحرفا التفسير[١٠] وحروف الزيادة[١١] والحروف المصدرية[١٢] وحروف الجر.[١٣]

المطلب الثالث

دلالة اللفظ على المعنى

إن اللفظ بالنسبة لوضوح معناه أو خفائه ينقسم إلى قسمين: واضح الدلالة وغير واضح الدلالة، وفيما يأتي بحث القسمين في الفرعين الآتيين:

---

(١) مغني اللبيب ــ لابن هشام: ١/٢٨٣، ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١٤.

(٢) المصدر نفسه: ١/٥ و٣٨٦.

(٣) المصدر السابق: ١/١٥ و٨٠، ١٢٠، ١٧١، ٢٠٥، ٢٠٦.

(٤) المصدر السابق: ١/٢٩، ١٨٩، ١٩٠.

(٥) المصدر السابق: ١/٥٧ و٧٢، ٢٩٦.

(٦) المصدر السابق: ١/٧٧، ٣٠٣.

(٧) المصدر السابق: ١/٥٦، ٣٨٥.

(٨) مغني اللبيب ــ لابن هشام: ١/٢٩٥، ٣١٦.

(٩) المصدر نفسه: ١/١٤٧-١٤٨.

(١٠) المصدر السابق: ١/٢٩.

(١١) المصدر السابق: ١/٣١، ٣١، ١١٢.

(١٢) المصدر السابق: ١/٢٤ و٩٩.

(١٣) شرح ابن عقيل: ٣/٢.

الفرع الأول
واضح الدلالة

وهو ما يدل على معناه بوضوح ويشمل الظاهر والنص والمفسر والمحكم وتتفاوت هذه الأقسام من حيث قوة الوضوح. فأعلاها المحكم وأدناها الظاهر وفيما يأتي بيان ذلك وحسب تدرجها من الأدنى إلى الأعلى.

١/ الظاهر

الظاهر: هو (ما يعرف المراد منه بنفس السماع من غير تأمل وهو الذي يسبق إلى العقول والأوهام لظهوره موضوعاً فيما هو المراد)[١].

وحكم الظاهر وجوب العمل بما يتبادر من معناه الظاهر، سواء كان عاماً أو خاصاً، حتى يقوم دليل على تخصيصه أو تأويله أو نسخه، حين ذاك يعدل عن العمل به. فتأويله يكون بصرفه عن المعنى الظاهر لتخصيصه إن كان عاماً وتقييده إن كان مطلقاً وحمله على المجاز ومن أمثلة ذلك أن الأطلاق الذي يحمله قوله سبحانه: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ﴾[٢] قيده قوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾[٣] ومن حكمه قبول النسخ في العهد النبوي لأنه لا نسخ بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لانقطاع الوحي.[٤]

---

(١) أصول السرخسي: ١/١٦٣.

(٢) سورة النساء ــ من الآية: ٢٤.

(٣) سورة النساء ــ من الآية: ٣.

(٤) ينظر أصول السرخسي: ١/١٦٤ وأصول البزدوي: ١/٤٨.

٢/ النص

النص: هو (ما يزداد وضوحاً **بقرينة** تقترن باللفظ من المتكلم ليس في اللفظ ما يوجب ذلك ظاهراً بدون تلك القرينة)[١] ويتضح من هذا التعريف أن النص يفيد معنى صريحاً واضحاً لا يحتمل غيره فقوله تعالى: ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾[٢] فوصف العشرة بأنها كاملة قطع كل احتمال وهذا هو الهدف من النص.[٣]

وحكم النص وجوب العمل بالمعنى المتبادر من النص، سواء كان خاصاً أو عاماً، ولا يعدل لغيره إلا في حالة قيام دليل من تأويل أو تخصيص أو نسخ. هذا وإن الاحتمال في النص أبعد منه في الظاهر، وذلك بسبب القرينة التي تزيد النص وضوحاً، وعند تقابلهما يحمل الظاهر على النص، كما أنه يقبل النسخ في العهد النبوي.[٤]

٣/ المفسر

المفسر: هو (اسم للمكشوف الذي يعرف المراد به مكشوفاً على وجه لا يبقى معه احتمال التأويل فيكون فوق الظاهر والنص، لأن احتمال التأويل فيهما منقطع في المفسر)[٥] يتضح من التعريف إن المفسر لا يتحمل التأويل ولا التخصيص ولذلك فهو أعلى رتبة في الوضوح من الظاهر والنص لاحتمالهما

(١) أصول السرخسي: ١/١٦٤.
(٢) سورة البقرة ـ من الآية: ١٩٦.
(٣) ينظر المنخول ـ للغزالي: ٦٥.
(٤) ينظر أصول البزدوي: ١/٤٨.
(٥) أصول السرخسي: ١/١٦٥.

التأويل والتخصيص ومثاله قوله سبحانه: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾[1] فلفظ الملائكة في النص جمع عام يقبل التخصيص ولكن لفظ (كلهم) قطع هذا الاحتمال، ولذلك يبقى احتمال ان سجودهم كان متفرقاً وعند ذكر لفظ (أجمعون) انقطع هذا الاحتمال وعليه فلا يبقى شك لا لتأويله ولا لتخصيصه فهو مفسر مكشوف المعنى واضح الدلالة ولكن يبقى احتمال النسخ.[2]

وحكم المفسر: إن ما يدل عليه المفسر يجب العمل به قطعاً إلا في حالة قيام دليل على نسخه، وهذا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، أما بعد وفاته فكل النصوص كتابا أو سنة لا يقبلان النسخ لكونهما نصوصاً محكمة وعليه فالمفسر لا يحتمل معنى آخر لكونه لا يقبل التأويل ولا التخصيص فهو أقوى دلالة على الحكم من النص والظاهر ولذلك يقدم عليهما في حالة التعارض.[3]

٤/ المحكم

المحكم: هو (اللفظ الذي دل على معناه دلالة واضحة قطعية لا تحتمل تأويلا ولا تخصيصاً ولا نسخاً حتى في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولا بعد وفاته بالأولى)[4] ومثاله قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[5] فهذا النص لا يتطرق إليه احتمال التأويل ولا يرد عليه نسخ لأنه من المحكم ويدل على حكم أصلي لا يتغير. والأحكام التي يشملها الأحكام على نوعين:

---

(١) سورة الحجر ــ الآية: ٣٠.

(٢) ينظر أصول السرخسي: ١٦٥/١ وتفسير النصوص ــ د.محمد أديب صالح: ١٦٥/١-١٦٧.

(٣) ينظر أصول البزدوي: ٢٤/٢ وتفسير النصوص ــ د.محمد أديب صالح: ١٦٩/١-١٧٠.

(٤) تفسير النصوص ــ د.محمد أديب صالح: ١٧١/١.

(٥) سورة الأنفال ــ من الآية: ٧٥.

١. محكم لذاته ويشمل الأحكام الأساسية التي لا تقبل التأويل ومنها الإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر وغيرها من الأحكام الثابتة كأمهات الفضائل التي لا تختلف باختلاف الأمكنة والأزمنة ومنها الصدق والعدل وبر الوالدين والأمانة وتحريم الظلم وغيرها.

٢. محكم لغيره: كالأحكام الجزئية التي دلت القرائن على تأبيدها ودوام استمرارها فقد حرم الله جل وعلا نكاح أزواج النبي صلى الله عليه وسلم من بعده بقوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا﴾[1] فلفظ التأبيد وانقطاع الوحي كلها قرائن تدل على ذلك.[2]

وحكم المحكم: وجوب العمل بما تضمنه ودل عليه بصورة قطعية، والمحكم لا يحتمل صرفه عن معناه الظاهر إلى أي معنى آخر لعدم احتمال نسخه أو إبطاله في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، فكيف بعد مماته وقد انقطع الوحي ولا يحتمل الإبطال حيث لا وجود لسلطة تشريعية تملك هذا الحق، ويظهر من هذا أن دلالة المحكم أقوى من جميع أقسام واضح الدلالة ولذلك يقدم على الظاهر والنص والمفسر في حالة التعارض معه.[3]

---

(١) سورة الأحزاب ــ من الآية: ٥٣.

(٢) ينظر تفسير النصوص ــ د.محمد أديب صالح: ١/١٧٢-١٧٣.

(٣) ينظر تفسير النصوص ــ د.محمد أديب صالح: ١/١٧٥.

الفرع الثاني

غير واضح الدلالة

وهو اللفظ الذي يكون فيه غموض في الدلالة على المعنى ويحتاج ما يزيل هذا الخفاء، ويكون على مراتب في غموضه أدناها الخفي ثم المشكل ثم المجمل وأكثرها غموضاً المتشابه وفيما يأتي إيضاح ذلك:

١. الخفي

الخفي: هو (اسم لما اشتبه معناه وخفي المراد منه بعارض في الصيغة يمنع نيل المراد بها إلا بطلب)[١] ومثاله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾[٢] فلفظ السارق ظاهر الدلالة على معناه ولكن يدخل على هذا اللفظ اشتباه عند إقرار الحكم على من أخذ المال وكان لفظ السارق خفياً فيه كالطرار (النشال) فهو يغاير السارق بوصف زائد هو الجرأة وعلى هذا أطلق عليه اسم خاص، كما يكون لفظ السارق خفياً في النباش.[٣]

وحكم الخفي: لما كان الخفي ناتجاً من عارض وجب العمل لإزالته وذلك بطريق البحث والتأمل ليرى سبب الخفاء هل هو ناشئ من زيادة أم من نقص في المعنى. فإذا كان الخفاء من زيادة المعنى عمل الباحث والمتأمل من إلحاق الفرد بما ظهر له من أن اللفظ يتناوله حتى لو كان بطريق الدلالة فيأخذ حكمه. أما إذا كان الخفاء من نقص حدث من اختصاص بعض الأفراد باسم معين حكم المتأمل بعدم

---

(١) أصول السرخسي: ١٦٧/١.

(٢) سورة المائدة ــ من الآية: ٣٨.

(٣) ينظر أصول السرخسي: ١٦٧/١ وأصول الفقه ــ للخضري: ٤٨.

إلحاقه وذلك لأن اللفظ لا يتناوله بأي دلالة فلا يأخذ حكمه، وهذا ديدن الفقهاء في إزالة الخفاء متحرين المقاصد والمصالح الحقيقية.(١)

٢. المشكل

المشكل: هو (اسم لما يشتبه المراد منه بدخوله في إشكاله على وجه لا يعرف المراد إلا بدليل يتميز به من بين سائر الاشكال)(٢).

وينشأ الاشكال من الأمور الآتية: إما من غموض في المعنى، أو من اشتهار معنى مجازي لأحد الألفاظ مع كونه في الأصل وضع لغيره على سبيل الحقيقة، أو من مقابلة النصوص بعضها ببعض.(٣)

وحكم المشكل: وجوب النظر والتأمل في المعاني التي يقبلها اللفظ والعمل على ضبطها، ثم الاجتهاد في البحث عن الدلائل التي يمكن بواسطتها التعرف على المعنى المراد من مجموع المعاني التي يحتملها اللفظ والعمل به.(٤)

٣. المجمل

المجمل: هو (لفظ لا يفهم المراد منه إلا باستفسار من المجمل وبيان من جهته يعرف به المراد)(٥).

والمجمل على ثلاثة أنواع هي:

---

(١) ينظر أصول السرخسي: ٢٤٩/١ وأصول الفقه ـ لبدران: ٣٠٦-٣٠٧.

(٢) أصول السرخسي: ١٦٨/١.

(٣) ينظر تفسير النصوص ـ د.محمد أديب صالح: ٢٥٥/١ وأدلة التشريع المتعارضة ـ لبدران: ١٦٦-١٦٨.

(٤) ينظر أصول السرخسي: ١٦٨/١.

(٥) أصول السرخسي: ١٦٨/١.

١. مجمل بسبب تزاحم المعاني على اللفظ كالمشترك الذي وضع لفظه لأكثر من معنى كما في لفظ (العين) فإنها تطلق على الباصرة ولجوهر الشيء والجاسوس ولعين الماء وغيرها، وهذا النوع لا مكان له في الكتاب العزيز لقيام الرسول صلى الله عليه وسلم ببيانه على أتم وجه.

٢. المجمل بسبب غرابة اللفظ كالهلوع في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾[١] فالهلوع الحريص الجزوع وهو مأخوذ من الهلع: سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير من قولهم ناقة هلوع سريعة السير)[٢] فإذا كان هذا معنى الهلوع فإن المعنى غريب ويحتاج لبيان لإدراكه فالله جل وعلا قد فسره بأحسن بيان وذلك بقوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾[٣] أي إن الإنسان (إذا ناله شر أظهر شدة الجزع، وإذا ناله خير بخل به ومنعه الناس)[٤].

٣. مجمل بسبب انتقال اللفظ من معناه الظاهر إلى ما هو غير معلوم إرادة الشارع الحكيم، وهذا حصل كثيراً في التشريع الإسلامي كالصلاة والزكاة والحج والربا وغيرها فقد ذكر الربا بقوله سبحانه: ﴿وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا﴾[٥] فإنه مجمل (لأن الربا عبارة عن الزيادة في أصل الوضع، وقد علمنا أنه ليس

---

(١) سورة المعارج ــ الآية: ١٩.

(٢) الكشاف ــ للزمخشري: ١٥٨/٤.

(٣) سورة المعارج ــ الآيتان: ٢٠-٢١.

(٤) الكشاف ــ للزمخشري: ٥٨/٤.

(٥) سورة البقرة ــ من الآية: ٢٧٥.

المراد حرمة البيع بسبب فضل خال عن العوض مشروط في العقد)[1] وهذا المعنى ليس له دلالة على معناه اللغوي.[2]

حكم المجمل: التوقف في تعيين المراد من المعنى حتى يرد بيان عن الشارع الحكيم، وقد يكون البيان قطعياً أو ضنياً وقد يكون غير واف، ففي حالة ورود بيان واف بدليل قطعي التحق المجمل بالمفسر وأخذ حكمه وبهذا يكون غير قابل للتأويل بعد بيانه كلفظ الهلوع السابق الذكر، وإذا ورد البيان وافياً بدليل قطعي التحق المجمل بالمؤول وهذا الانتقال يحتاج إلى بحث وتأمل ومثاله قوله تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾[3] فالنص مجمل وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه توضأ و (مسح على ناصيته)[4] أما إذا كان البيان غير واف التحق المجمل بالمشكل وفي هذه الحالة يكون للاجتهاد فيه طريق، ويصبح حكمه حكم المشكل حيث يبحث عن القرائن للوقوف على المعنى.[5]

٤. المتشابه

المتشابه: هو (اسم لما انقطع رجاء معرفة المراد منه لمن اشتبه فيه عليه)[6] ولا ينكر وجود المتشابه في القرآن الكريم ولكن ميدانه: العقيدة، وأصول

(١) أصول السرخسي: ١/١٦٨-١٦٩.
(٢) ينظر المصدر نفسه: ١/١٦٨.
(٣) سورة المائدة ـ من الآية: ٦.
(٤) صحيح مسلم: ١/١٥٩.
(٥) ينظر التلويح على التوضيح ـ للتفتازاني: ١/١٢٧.
(٦) أصول السرخسي: ١/١٦٩ وأصول الفقه ـ للخضري: ١٤٨.

الدين، ولا وجود له في الأحكام التكليفية[1] لأن المراد منها العمل والتطبيق لا الاعتقاد فقط، ومن المواطن التي يحصل فيها المتشابه هي: الحروف في أوائل السور مثل: كهيعص، حم، وما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة والروح وصفاته وأفعاله التي توهم بمشابهتها لصفات وأفعال خلقه والله منزه عن ذلك.[2] والحكمة من المتشابه تظهر من أنه عز وجل دعانا إلى التفكر والنظر والبحث ونهانا عن التقليد، واحتواء القرآن على المحكم والمتشابه ليكون داعياً للبحث وصارفاً عن التقليد، وليكون التكليف به أشق وهذا أرجى زيادة في الأجر، كما أراد الله سبحانه أن يكون القرآن في أرفع مستوى من الفصاحة والبلاغة لأنه أمعن في الإعجاز، فوجود المتشابه تقتضيها ضرورة المخاطبة للناس لأنهم ليسوا على مستوى واحد من الإدراك فكان هذا الأسلوب الذي يقرب تصور الذات الإلهية مع ان الآيات المحكمة تتحدث عن التنزيه المطلق للخالق العظيم ويرد الآيات المتشابهات إلى المحكمة ينتفي التشبيه والتجسيد.[3]

وحكم المتشابه: هو (اعتقاد الحقية والتسليم بترك الطلب والاشتغال بالوقوف على المراد منه)[4].

---

(١) الحكم التكليفي: ما يقتضي طلب الأمر والنهي أو التخيير بين الفعل أو الترك. أصول الدين ـ للبغدادي: ٢٠٧.

(٢) ينظر أصول السرخسي: ١٦٩/١-١٧٠.

(٣) ينظر أصول البزدوي: ٥٧/١.

(٤) أصول السرخسي: ١٦٩/١ وأصول البزدوي: ٥٥/١.

الفرع الثالث

البيان وأنواعه

بعد عرض دلالات اللفظ على المعنى بقسميه واضح الدلالة وغير واضح الدلالة اتضح لنا تفاوت أنواع كل منهما في ظهور المعنى وخفائه واحتياج بعضها إلى قرينة توصل لمعناه، وعليه أجد من الضرورة بمكان إعطاء صورة واضحة عن اللفظ الذي يدل على معناه بوضوح وبدون أي احتمال آخر ألا وهو البيان.

فالبيان: هو (إظهار المعنى وإيضاحه للمخاطب منفصلا عما تستر به)[1].

والبيان على خمسة أنواع هي:

١. بيان التقرير: وهو (الذي يحتمل المجاز والعام والمحتمل للخصوص فيكون البيان قاطعاً للاحتمال مقرراً للحكم على ما اقتضاه الظاهر)[2] وذلك كقوله جل وعلا: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾[3] فالنص يحتمل المجاز لكون البريد يسمى طائراً، ولكن لفظة ـ بجناحيه ـ أزالت احتمال المجاز وأراد الحقيقة، وهذا النوع من البيان يكون صحيحاً سواء كان موصولاً أو مفصولاً، لأنه مقرر للحكم ما بينه الظاهر.[4]

٢. بيان التفسير: هو (ما يوقف على المراد للعمل به بالبيان فيكون البيان تفسيراً له لأن العمل بظاهره غير ممكن كبيان المجمل والمشترك والخفي والمشكل)[5] ومثاله قول رجل لامرأته أنت بائن أو أنت عليّ حرام فإن

---

(١) أصول السرخسي: ٢/٢٦.

(٢) المصدر نفسه: ٢/٢٨.

(٣) سورة الأنعام ـ من الآية: ٣٨.

(٤) ينظر أصول السرخسي: ٢/٢٨ وتفسير النصوص ـ لمحمد أديب صالح: ١/٣٣-٣٤.

(٥) أصول السرخسي: ٢/٢٨.

البينونة والحرمة مشتركة ولكن إذا قال عنيت الطلاق فقد أزيل اللبس وكان هذا بيان تفسير يلزم العمل بأصل كلامه ويثبت البينونة والحرمة، وهذا البيان يصح مفصولاً وموصلاً عند الفقهاء.[1]

٣. بيان التغيير وهو الاستثناء كقوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾[2] فلفظ الألف في النص الشريف اسم يدل على عدد معلوم وكل نقصان يكون غيره قاطعاً عليه، فالاستثناء الوارد في الآية دل دلالة قاطعة على أن مدة لبثهم تسعمائة وخمسون عاما ولولا الاستثناء لكان مفهوم مدة لبثهم ألف سنة على مقتضى تسمية الألف فيكون هذا تغييرا ولذلك وسم بهذا لما يظهره من تغيير[3]، وهذا البيان: (يصح موصولا بالكلام ولا يصح مفصولا ممن لا يمتلك النسخ)[4].

٤. بيان التبديل: وهو (التعليق بالشرط) كقوله سبحانه: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾[5] فالنص الشريف يوضح (أنه لا يجب إيتاء الاجر بعد العقد إذا لم يوجد الإرضاع، وإنما يجب ابتداء عند وجود الأرضاع فيكون تبديلا لحكم وجوب أداء البدل بالعقد نفسه، ولا خلاف بين العلماء حيث أنه يصح موصولا ولا يصح مفصولا ممن لا يملك النسخ)[6].

---

(١) ينظر المصدر نفسه: ٢/٢٨.

(٢) سورة العنكبوت ــ من الآية: ١٤.

(٣) ينظر أصول السرخسي: ٢/٣٥ وتفسير النصوص ــ لمحمد أديب صالح: ١/٣٤.

(٤) أصول السرخسي: ٢/٣٦.

(٥) سورة الطلاق ــ من الآية: ٦.

(٦) أصول السرخسي: ٢/٣٥-٣٦.

٥. بيان الضرورة: وهو (نوع من أنواع البيان يحصل بغير ما وضع له في الأصل)[١] وواضح من تسميته أنه يعني البيان بسبب الضرورة، أما إضافته إليها فهو يرجع إلى إضافة الشيء إلى سببه، وهو على أربعة أنواع:

أ/ ما ينزل منزلة المنصوص عليه في البيان.

ب/ سكوت صاحب الشرع عند الحاجة إلى البيان.

ج/ ما يكون بيانا بضرورة دفع العزر.

د/ ما يكون بيانا بدلالة اختصار الكلام.[٢]

وما يهمنا في هذا الموضع النوع الأول وهو ما ينزل منزلة المنصوص عليه في البيان كقوله جل وعلا: ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ﴾[٣].

فالنص الشريف أضاف الميراث للأبوين دون أن يبين نصيب كل منهما ثم خص الأم بالثلث ولذلك صار واضحا أن ما يستحقه الأب باقي التركة وهو الثلثان، فنصيب الأب صار كالمنصوص عليه عند ذكر نصيب الأم[٤]، (لأن إثبات الشركة على وجه الاختصاص بالشركتين، وتعيين نصيب احدهما تعين لنصيب الآخر بالضرورة)[٥].

---

(١) المصدر نفسه: ٢/٥٠.

(٢) ينظر المصدر السابق: ٢/٥٠-٥٢ وتفسير النصوص ــ لمحمد أديب صالح: ١/٤١-٤٤.

(٣) سورة النساء ــ من الآية: ١١.

(٤) ينظر أصول السرخسي: ٢/٥٠ وتفسير النصوص ــ لمحمد أديب صالح: ١/٤٠.

(٥) تفسير النصوص ــ لمحمد أديب صالح: ١/٤٠.

وعليه فإن معرفة المفسر بدلالة اللفظ على المعنى بأقسامه ودقائق أموره من الامور المهمة التي تحفظه من الشطط وعاملا مساعدا يوصله إلى دلالة اللفظ على معناه بصورة سليمة بعيدة عن الشك والارتياب.

المطلب الرابع

كيفية دلالة اللفظ على المعنى

هناك اختلاف في تقسيم طرق الدلالة على المعنى بين الحنفية من جهة وبين الشافعية من جهة أخرى، فقد أخذ كل منهم منهجا خاصا به وعليه سأبين كلا من منهجي التقسيم في الفرعين الآتيين:

الفرع الأول

منهج الحنفية

إن دلالة اللفظ على المعنى تتخذ طرقا أربعة وهي: الثابت بالنص، والثابت بإشارته، والثابت بدلالته، والثابت بمقتضاه[1] وهذا بيان لكل فرع منها:

١. **عبارة النص**: ما تكون صريحة الدلالة بدون إمعان نظر وعمق بحث، وتفهم من سياق الكلام سواء كان أصالة أو تبعا. ففي قوله جل وعلا: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا﴾[2] حكمين عرفناهما من سياقه وهما: حل البيع وحرمة الربا، ونفي المماثلة بينهما . فالحكم الأول كان مقصودا تبعا لكون نفي المماثلة استتبع بيان حكم كل منهما كي يتوصل من اختلاف حكمهما إلى التفرقة بينهما وعدم التماثل كما زعموا: إنما البيع مثل الربا. أما الحكم

(١) أصول السرخسي: ٢٣٦/١.

(٢) سورة البقرة ــ من الآية: ٢٧٥.

الثاني الذي فرق بين البيع والربا كان مقصودا أصالة لكون الآية كانت ردا على الذين زعموا المماثلة.[1]

٢. إشارة **النص**: وهي(ما لم يكن السياق لأجله لكنه يعلم بالتأمل في معنى اللفظ من غير زيادة فيه ولا نقصان وبه تتم البلاغة ويظهر الإعجاز)[2] ومثال ذلك قوله سبحانه: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾[3] واضح من النص أن الجماع حلال طول ليلة الصيام ويؤخذ منها بطريق الإشارة صوم من أصبح جنبا ويقع هذا لمن لا يتمكن من الاغتسال لاستمرار جواز الوقاع حتى آخر لحظة من الليل.[4] هذا وأن الثابت بالإشارة ما يكون قطعيا وبمكانه الثابت بالعبارة، ومنهى ما يكون ظنيا عندما يحتمل الحقيقة والمجاز، وفي هذه الحالة تكون الحقيقة للثابت بالإشارة ويكون الحكم موصوفا بالقطعية، ويكون المجاز للثابت بالإشارة ويكون الحكم موصوفا بالظنية[5]، ولما كانت إشارة النص تتفاوت بين الظهور والإخفاء (فمنها ما يمكن إدراكه بأدنى تأمل، ومنها ما يحتاج إلى الأكثر والأوفر منه، ذلك لأنها معان التزامية للنصوص المترتبة على مدلولاتها، ولابد لإدراكه هذه الإشارة من مزيد من التمرس بألفاظ الشريعة ومدلولات

(١) ينظر أصول السرخسي: ٢٣٦/١ وأصول الفقه ـ للخضري: ١٣١.

(٢) أصول السرخسي: ٢٣٦/١.

(٣) سورة البقرة ـ من الآية: ١٨٧.

(٤) ينظر أصول السرخسي: ٢٣٨/١.

(٥) المصدر نفسه: ٢٣٦/١ وتفسير النصوص ـ لمحمد أديب صالح: ٤٩٥/١.

اللغة وإن شئت قلت: لابد من الملكة التي تضيء السبيل في هذا المضمار)[1].

٣. **دلالة النص:** وتعني (ما ثبت بمعنى النظم لغة لا استنباطا بالرأي)[2] فالحكم الذي توضحه دلالة النص ثابت بطرق المفهوم اللغوي وليس بطريق الاجتهاد والاستنباط، ومن الأمثلة على ذلك قوله تقدس اسمه: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[3] يفهم من النص تحريم قول (أف) للوالدين فمن الأولى تحريم ما هو أشنع من القول والشتم وغيرها مما يلحق بالوالدين الأذى لأن النهي عن أقل الأذى المذكور في النص نهي عما هو أشد منه والذي سكت عنه النص لأنه يفهم لغة من دلالة النص ولأن الأذى الذي يحدثه يفوق ما في التأفيف وزيادة.[4] ولهذه الدلالة تسميات متعددة هي: فحوى الخطاب أي معناه وقصده وذلك(إذا كان المسكوت عنه أولى بالحكم من المنطوق به)[5] وتسمى لحن الخطاب إذا (كان المسكوت عنه مساويا للمنطوق به في الحكم)[6] وتدعى أيضا الدلالة لأن (الحكم في هذه الدلالة يؤخذ من معنى النص لا من لفظه)[7] وتسمى بمفهوم الموافقة وهذا ما قال

---

(١) تفسير النصوص ــ لمحمد أديب صالح: ١/٤٩١ وعلم أصول الفقه ــ لعبد الوهاب خلاف: ١٦١.

(٢) أصول السرخسي: ١/٢٤١.

(٣) سورة الإسراء ــ من الآية: ٢٣.

(٤) ينظر أصول السرخسي: ١/٢٤١-٢٤٢.

(٥) إرشاد الفحول ــ للشوكاني: ١٧٨.

(٦) إرشاد الفحول ــ للشوكاني: ١٧٨.

(٧) تفسير النصوص ــ لمحمد أديب صالح: ١/٥١٧.

به الشافعي وذلك لأن (المسكوت عنه أي غير المذكور يكون موافقا للمنطوق أي المذكور في الحكم إثباتا ونفيا)[1].

٤. اقتضاء النص: وهو (عبارة عن زيادة على المنصوص عليه يشترط تقديمه ليصير المنظوم مفيدا أو موجبا للحكم وبدونه لا يمكن إعمال المنظوم)[2] ويفهم من التعريف إن دلالة النص على الحكم في هذا النوع لم تكن بالصيغة أو بمعناها ولكن تفهم بأمر خارج اقتضاه صدق الكلام أو صحته شرعا وعقلا وذلك لا يصح إلا بتقدير شيء ليستقيم المعنى كقوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾[3] فالنص لا يصح عقلا إلا بتقدير شيء كي يستقيم معناه لكون القرية من الجمادات والسؤال يكون لأهل البيان وعليه يقتضي تقدير (أهل) ليستقيم المعنى فيكون بعد التقدير: واسأل أهل القرية.[4] وكذلك قوله جل وعلا: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾[5] فالنص نستشف منه معنى الأمر أي حرروا رقبة ويقتضي هذا ملك رقبة لأنه لا يتصور تحرير حر ولا ملك الغير، ودام الملك ثابتاً باقتضاء النص فيكون التقدير: فتحرير رقبة مملوكة.[6]

اتضح لنا أن هذه الدلالات ليست بمرتبة واحدة من حيث الماهية والرتبة والحجية فأقواها عبارة النص لأن معناها يفهم من السياق ثم تليها إشارة النص لأن

---

(١) التلويح على التوضيح ــ للتفتازاني: ١/١٤١.

(٢) أصول السرخسي: ١/٢٤٨.

(٣) سورة يوسف ــ من الآية: ٨٢.

(٤) ينظر أصول السرخسي: ١/٢٥١ والاحكام ــ للآمدي: ٣/٦١.

(٥) سورة المجادلة ــ من الآية: ٣.

(٦) ينظر أصول الفقه ــ لأبي زهرة.

معناها يدرك بتأمل اللفظ، ثم دلالة النص لأنها تدل على المعنى بطريق المفهوم اللغوي، وأضعفها رتبة اقتضاء النص لأنها لا تدل على المعنى لا بالصيغة ولا بالمعنى ولكن بأمر زائد يقتضي تقديره صدق الكلام أو صحته شرعاً وعقلاً.(١)

وفي ضوء هذه الخلاصة المركزة في الدلالات يتبين أن كل معنى نفهمه من النص بإحدى هذه الدلالات (يعتبر من مدلولات النص وثابتاً به، والنص دليل وحجة عليه، ولهذا فتعتبر هذه الدلالات الأربع دلالة منطوق)(٢).

الفرع الثاني

منهج الشافعية والمتكلمين من الأصوليين

لقد سلك هؤلاء طريقاً خاصاً في تقسيم دلالة اللفظ على المعنى استعملوا فيه المنطوق والمفهوم وفيما يأتي بيان ذلك:

١/ المنطوق: هو (ما دل عليه اللفظ في محل النطق، أي يكون حكماً للمذكور وحالاً من أحواله)(٣) فاللفظ يدل على الحكم الذي ذكر في الكلام ونطق به سواء كان مطابقة أو التزاماً أو تضميناً، والمنطوق ينقسم إلى قسمين:

أ/ ما لا يحتمل التأويل وهو النص.

ب/ ما يحتمل التأويل وهو الظاهر.

والنص ينقسم بدوره إلى قسمين صريح وغير صريح:

---

(١) ينظر أصول السرخسي: ١/٢٣٦-٢٤٨.

(٢) الوجيز ــ لعبد الكريم زيدان: ٣١٠.

(٣) إرشاد الفحول ــ للشوكاني: ١٧٨.

فالصريح: (ما دل عليه اللفظ بالمطابقة أو التضمين)[1] وهذا ما أطلق عليه عبارة النص عند الأحناف، ومثاله قوله جل وعلا: ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا ﴾[2] فاللفظ يدل صراحة على حل البيع وحرمة الربا.[3]

أما **النص غير الصريح:** فهو (ما دل عليه بالالتزام)[4] وينقسم إلى ثلاث دلالات هي:

*الأولى ـ دلالة الاقتضاء: وهي (ما كان المدلول فيه مضمراً، إما لضرورة صدق المتكلم وإما لصحة وقوع الملفوظ به)[5] ومثاله قوله سبحانه: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ﴾[6] فالنص الشريف يقتضي مضمر ليستقيم معناه كما أراد الشارع الحكيم فيكون معنى النص: حرم عليكم نكاح أمهاتكم لأن التحريم لا يكون على الذوات وإنما على الفعل المتعلق بها وهو النكاح، وهذا المعنى ظهر عن طريق اقتضاء النص.[7]

*الثانية ـ دلالة **الإيماء:** وهي (أن يقترن اللفظ بحكم لو لم يكن للتعليل لكان بعيداً)[8] ومثاله قوله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ

---

(١) إرشاد الفحول ـ للشوكاني: ١٧٨.

(٢) سورة البقرة ـ من الآية: ٢٧٥.

(٣) ينظر إرشاد الفحول ـ للشوكاني: ١٧٨.

(٤) المصدر نفسه: ١٧٨.

(٥) الاحكام ـ للآمدي: ٣/٦٠.

(٦) سورة النساء ـ من الآية: ٢٣.

(٧) ينظر الوجيز ـ لعبد الكريم زيدان: ٣٠٩.

(٨) إرشاد الفحول ـ للشوكاني: ١٧٨.

﴿ جَلْدَةٍ ﴾[1] فالنص الشريف دل على حد الزانية والزاني، وهذا الحكم رتبه الشارع الحكيم على هذا الفعل الشنيع لوجوب الجلد ولولا ذلك لكان هذا الاقتران بعيداً وغير معقول لعدم الملاءمة.[2]

*الثالثة ـ دلالة الإشارة: وهي (ان لم يكن المدلول عليه بالالتزام مقصوداً للمتكلم)[3] ومثال ذلك قوله عز وجل: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾[4] فالنص يدل بعبارته على أحد أصول الحكم في الإسلام هو (الشورى) وبهذا المعنى يتطلب الأمر وجود جماعة من هذه الأمة تستشار في الأمور، لأنه لا يمكن مشاورة الجميع، وهذا المعنى نبهت إليه هذه الدلالة لأن غير مقصود في النص.[5]

٢/ المفهوم: ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق أي يكون حكماً لغير المذكور وحالاً من أحواله)[6] وهو على قسمين: مفهوم موافقة ومفهوم مخالفة.

أ/ **مفهوم الموافقة:** هو ما (يكون المسكوت عنه موافقاً للملفوظ)[7] وهذا المفهوم يسمى فحوى الخطاب إن كان أولى بحكم المنطوق.[8] ويسمى لحن الخطاب إن كان حكمه مساوياً لحكم المنطوق. وسبق التمثيل له عند بحث دلالة النص عند

---

(١) سورة النور ـ من الآية: ٢.

(٢) ينظر إرشاد الفحول ـ للشوكاني: ١٧٨.

(٣) ينظر إرشاد الفحول ـ للشوكاني: ١٧٨.

(٤) سورة آل عمران ـ من الآية: ١٥٩.

(٥) ينظر الوجيز ـ لعبد الكريم زيدان: ٣٠٤.

(٦) إرشاد الفحول ـ للشوكاني: ١٧٨.

(٧) إرشاد الفحول ـ للشوكاني: ١٧٨ والاحكام ـ للآمدي: ٦٢/٣.

(٨) ينظر الاحكام ـ للآمدي: ٦٢/٣.

الأحناف، وقال بمفهوم الموافقة جمهور كبير من العلماء لاستناده لأدلة من اللغة والقياس، وأنكر ابن حزم لأنه ينكر القياس.(١)

ب/ مفهوم المخالفة: وهو ما يكون المسكوت عنه مخالفاً للمذكور في الحكم إثباتاً ونفياً فيثبت للمسكوت عنه نقيض حكم المنطوق به ويسمى دليل الخطاب لأن دليله من جنس الخطاب أو لأن الخطاب دال عليه)(٢) ومثاله قوله جل شأنه: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾(٣) فالنص واضح الدلالة على اباحته نكاح الإماء المؤمنات وذلك عند العجز عن نكاح الحرائر ويدل بمفهوم المخالفة على النهي عن نكاح الإماء غير المؤمنات.(٤) ومفهوم المخالفة يتنوع تبعاً للقيد الذي يقيد به منطوق النص ولذلك فإنه يكون على الأنواع الآتية:

١. مفهوم الصفة: وهي (تعليق الحكم على الذات بأحد الأوصاف)(٥) ومثاله قوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾(٦) فالآية الكريمة تدل بمنطوقها على وجوب التثبت من الخبر إذا جاءنا من فاسق، وتدل بمفهوم المخالفة أنه إذا جاءنا العدل بنبأ فلا وجوب للتبين.

---

(١) المصدر نفسه: ٣/٦٢.

(٢) إرشاد الفحول ــ للشوكاني: ١٧٨ وكشف الأسرار ــ للبخاري: ٢/٢٥٣.

(٣) سورة النساء ــ من الآية: ٢٥.

(٤) ينظر الوجيز ــ لعبد الكريم زيدان: ٣١١.

(٥) إرشاد الفحول ــ للشوكاني: ١٨٠.

(٦) سورة الحجرات ــ من الآية: ٦.

٢. **مفهوم العلة:** ويقصد به ربط الحكم بالعلة، ومثاله تحريم الخمر لإسكارها والفرق بين هذا النوع والنوع الأول أن الصفة قد تكون علة كالإسكار وقد لا تكون علة بل متممة كالسوم فإن الغنم هي العلة والسوم متمم لها)[١].

٣. مفهوم الشرط: وهو (دلالة اللفظ المفيد لحكم معلق بشرط على ثبوت نقيضه عند انتفاء الشرط)[٢] ومثاله قوله سبحانه: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾[٣] فالنص يفيد بمنطوقه على حل أخذ الزوج من مهر زوجته إذا طابت بذلك نفساً، وتفيد بمفهوم المخالفة حرمة أخذ شيء إذا لم تطب به نفساً، فحل الأخذ علق على رضاء الزوجة فكان شرطاً ولذلك يوجد الحكم بوجود الشرط وينتفي بانتفائه.[٤]

٤. مفهوم العدد: وهو (تعليق الحكم بعدد مخصوص فإنه يدل على انتفاء الحكم فيما عدا ذلك العدد زائداً أو ناقصاً)[٥] ومثاله قوله سبحانه: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾[٦] فالنص يدل أن حد الزاني مائة جلدة ومفهوم المخالفة يدل على عدم جواز جلد الزاني أقل أو أكثر من هذا العدد.

---

(١) إرشاد الفحول ــ للشوكاني: ١٨٠.

(٢) أصول الفقه ــ لبدران: ٣٢٧.

(٣) سورة النساء ــ من الآية: ٤.

(٤) إرشاد الفحول ــ للشوكاني: ١٨١ والاحكام ــ للآمدي: ٦٧/٣.

(٥) إرشاد الفحول: ١٨١ وأصول الفقه ــ للخضري: ١٣٤.

(٦) سورة النور ــ من الآية: ٢.

٥. **مفهوم الغاية:** وهو (ما مد الحكم بإلى أو حتى)[١] ومن المعروف أن غاية الشيء آخره والحرفان (إلى وحتى) يفيدان ذلك ومثاله قوله سبحانه: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾[٢] فالنص الكريم تضمن حرفي الغاية اللذين يوضحان هذا المفهوم فالحرف (حتى) نفهم منه غاية الشيء وانتهائه ويكون حكم ما بعدها يخالف حكم ما قبلها. والنص الشريف يدل على جواز الأكل والشرب في ليل رمضان إلى الفجر الذي يعد غاية الحل، وأما مفهومه المخالف أن الأكل والشرب حرام بعد هذه الغاية.

٦. **مفهوم اللقب:** وهو (تعليق الحكم بالاسم العلم)[٣] والاسم العلم يراد به اللفظ الذي يدل على الذات دون الصفة كأسماء العلم ومثاله قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾[٤] فالنص الشريف يدل على أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله، ويدل بمفهوم المخالفة أن غير محمد صلى الله عليه وسلم ليس برسول، ويكاد ينعقد إجماع العلماء على إنكاره وعدم الاحتجاج به وهو الراجح.

٧. **مفهوم الحصر:** وهو أنواع منها: الحصر بما وإلا وهما أقوى الأنواع حصراً وقال الجمهور أنه من قبيل المفهوم وهذا هو الراجح (والعمل به

---

(١) إرشاد الفحول ــ للشوكاني: ١٨٢.

(٢) سورة البقرة ــ من الآية: ١٨٧.

(٣) إرشاد الفحول ــ للشوكاني: ١٨٢.

(٤) سورة الفتح ــ من الآية: ٢٩.

معلوم من لغة العرب ولم يأت من لم يعمل به بحجة مقبولة)[1] فيما ذهب آخرون للقول بكونه منطوقاً، أما الحصر بإنما فالراجح أنها لا تدل على الحصر وإنما لتأكيد الإثبات ويؤيد هذا أنها ترد للحصر ولغيره، أما حصر المبتدأ في الخبر فقيل يدل على الحصر، وقيل لا يدل والراجح من القولين أنه لا يدل على الحصر.[2]

٨. **مفهوم الحال:** أي تقييد الخطاب بالحال وهو من جملة مفاهيم الصفة والمراد الصفة المعنوية لا النعت.[3]

٩. مفهوم الزمان: وهذا أيضاً يدخل في مفهوم الصفة لكون متعلق الظرف المقدر[4] ومثاله قوله جل وعلا: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾[5] فالنص عين ظرف الزمان الذي يقع فيه الإحرام، فلو وقع في غير هذه الأشهر فإنه لا يصح.[6]

١٠. **مفهوم المكان:** ويرجع إلى مفهوم الصفة لكون متعلق الظرف المقدر[7]

١١. كقوله سبحانه: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾[8] فالنص عين الظرف المكاني الذي يذكر الحاج به ربه ذكراً خاصاً فلو وقع هذا

---

(١) إرشاد الفحول ــ للشوكاني: ١٨٢.

(٢) ينظر الاحكام ــ للآمدي: ٣/٩١-٩٢.

(٣) إرشاد الفحول ــ للشوكاني: ١٨٣.

(٤) ينظر إرشاد الفحول ــ للشوكاني: ١٨٣.

(٥) سورة البقرة ــ من الآية: ١٩٧.

(٦) ينظر أصول التفسير لكتاب الله المنير ــ لخالد عبد الرحمن: ١٥٦.

(٧) ينظر إرشاد الفحول ــ للشوكاني: ١٨٣.

(٨) سورة البقرة ــ من الآية: ١٩٨.

الذكر في غير هذا المكان لكان ذكراً لا يسقط المطلوب بالنص ومن المعروف أن الأمر التعبدي لا يعلل ولذلك يجب أداؤه كما هو مطلوب.(١)

أما شروط العمل بمفهوم المخالفة والتي تعد طريقاً موصلاً للحكم فهي:

أ/ أن لا يوجد دليل أرجح منه سواء كان منطوقاً أو مفهوم مخالفة.

ب/ يجب أن لا يكون مقصود النص الامتنان.

ج/ كما يجب أن لا يكون النص ورد جواباً عن سؤال يتعلق بحكم خاص أو حادثة خاصة.

د/أن لا يكون ما في النص ورد للتفخيم وتأكيد الحال.

هـ/أن يكون ذكره مستقلاً وإذا ذكر على وجه التبعية فلا مفهوم له.

و/أن لا يظهر من سياق النص قصد التعميم فإن وجد فلا مفهوم له.

ز/أن لا يكون سببا لإبطال المنطوق الذي هو أصله فإذا كان فلا يعمل به.

ح/أن لا يكون المفهوم قد خرج مخرج الغالب والجاري عادة.(٢)

المبحث الثالث

القواعد الأصولية لفهم النص القرآني

ينبغي لكل مفسر أن يعرف بعمق المقاصد التي ترمي إليها أحكام الشريعة الإسلامية الغراء، كما يجب أن تكون عنده الإمكانية التي يستطيع بموجبها أن يدفع ما قد يبدو متعارضاً ويرجح بين الأدلة معتمداً على قواعد الترجيح، وأن يعرف

---

(١) ينظر أصول التفسير لكتاب الله المنير ـ لخالد عبد الرحمن: ١٥٦.

(٢) ينظر إرشاد الفحول ـ للشوكاني: ١٨٠ والاحكام ـ للآمدي: ٩٣/٣ وتفسير النصوص ـ لمحمد أديب صالح: ٦٧٣/١-٦٧٨.

الناسخ من المنسوخ، وكل ذلك يعينه على فهم النص القرآني وتفسيره على وجه أكمل وصورة أتم وفيما يأتي بيان ذلك في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول

مقاصد الشريعة

الشريعة الإسلامية رحمة الله للناس لأنها تحقق مصالحهم وتجلب النفع لهم وترفع الضر عنهم وترعاهم في الدارين فهي (عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه)[1] وعليه فمعرفة مقاصد الشريعة وما ترمي إليه يكون من الضرورة بمكان لفهم النصوص الشرعية، وهذه المقاصد تكون حسب ما يراه الشارع الحكيم، وليست وفق ميول الإنسان ولذاته لأنه قد يرى النافع ضاراً والضار نافعاً، وما نراه أمامنا في الحياة خير دليل على سعي الإنسان إلى ما يضره والابتعاد عما ينفعه استجابة لنزوة آنية أو مصلحة ذاتية ولذلك فالشريعة منزهة عن الهوى لما فيه من المفاسد[2] يقول سبحانه: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾[3] ولذلك فكل بلاء يقع سببه التفريط في الشريعة، وانطلاقاً من هذا الفهم فإن العلماء بذلوا جهوداً مضنية لاستقراء النصوص وتتبع الأحكام وعللها وحصروا تلك المقاصد في ثلاثة أنواع هي:

الضروريات والحاجيات والتحسينيات ولكل نوع ما يكمله وإنها ليست بمرتبة واحدة من حيث الأهمية ولذلك فمعرفة المفسر لمراتب هذه المقاصد تفرضها طبيعة عمله لتفسير النص القرآني، ففي الوقت الذي يختل به نظام الحياة ويعم

---

(١) اعلام الموقعين ــ لابن القيم: ١/٣ وينظر مقاصد الشريعة ــ لعلال الفاسي: ٥٠.

(٢) ينظر أصول الفقه الإسلامي ــ لمحمد شلبي: ٢٨٣.

(٣) سورة المؤمنون ــ من الآية: ٧١.

الناس هرج ويلحقهم شقاء عند فوات المقاصد الضرورية لا نرى هذا عند فوات المقاصد الحاجية، وإنما يلحق الناس الحرج الذي لا يبلغ ما تلحقه فوات الضروريات، أما التحسينيات فلا يترتب على فواتها إخلال النظام وإنما يبتعد الناس عما ترتضيه العقول الراجحة والفطر السليمة وعلى هذا فإن مراتب المقاصد الشرعية تكون وفق تدرجها المتقدم، وبناءاً على هذا التدرج فإن الأحكام التي شرعت لكل منها تختلف أهمية حسب مراتبها فالأحكام التي شرعت للضروريات أهم من الأحكام التي شرعت للحاجيات وما شرع للحاجيات أهم مما شرع للتحسينيات، وعلى ضوء هذا يجب مراعاة هذه الأحكام حسب ترتيبها عند التعرض لتفسير النصوص القرآنية.[1] ولذلك فمراعاة الأحكام الضرورية أولا، ولا يجوز الإخلال بأي حكم منها إلا في حالة مراعاة أمر ضروري أهم منه، فالجهاد شرع لحفظ الدين وإن كان فيه إتلاف للنفوس فحفظ الدين أهم من حفظ النفس.

ولا يراعى الحكم الحاجي إذا كانت مراعاته تخل بحكم ضروري، فجميع الفرائض يجب أداؤها من لدن المكلفين في حالة قدرتهم حتى ولو وجدوا مشقة في الأداء، فلو روعيت المشقة التي تنال المكلف لأهملت أحكام ضرورية كالعبادات والعقوبات، فوجوب الفرائض ضروري ورفع المشقة حاجي ومعروف أن الحاجي مكمل للضروري، ولا يجوز مراعاة الحكم التحسيني إذا كانت هذه المراعاة تخل بحكم حاجي أو ضروري، لأن الحكم التحسيني مكمل للحاجي والحاجي مكمل للضروري، ولذلك لا يراعى المكمل إذا كانت مراعاته تخل بما هو أصل له وبناءاً على هذا يباح كشف العورة إذا استدعى الأمر للعلاج، وإن كان سترها مطلوباً. فكشف العورة تحسيني والعلاج لحفظ النفس ضروري فيقدم الضروري على

(١) ينظر الوجيز في أصول الفقه ــ للدكتور عبد الكريم زيدان: ٣٢٦.

التحسيني.[1] فإذا أخذ المفسر بهذا التدرج كان وصوله للمعنى المراد صائباً وإلا اختل الفهم وابتعد عن المطلوب. فالالتزام بهذا الضابط التفسيري أمر لابد منه.

المطلب الثاني

التعارض وطرق دفعه

التعارض يعني تقابل الدليلين على سبيل الممانعة.[2] ويفهم من هذا أن الدليلين عند تعارضهما يقتضي أحدهما ما لا يقتضيه الآخر، ففي حالة وجود تعارض لابد من إيجاد ما يرفع هذا التعارض وقد سلك الجمهور المنهج الآتي لدفع التعارض:

١/ **الجمع بين المتعارضين** وذلك من تفضيل أحد الدليلين على الآخر وعدم النظر إلى تاريخهما وصولا للعمل بكلا الدليلين.

والجمع: هو بيان التوافق والائتلاف بين الأدلة الشرعية وإظهار أن الاختلاف ليس حقيقياً ولا يؤدي إلى النقص أو التناقض فيهما، سواء كان بتأويل الطرفين أو أحدهما.[3] فعند فقدان المرجح للأدلة وتوفر شروط الجمع يصار إليه لكون الإعمال خيرا من الإهمال ومن طرق الجمع ما يأتي:

أ/ الجمع بين النصين بالتخصيص، والتخصيص جمع بين الدليلين العام والخاص.[4]

ب/ الجمع باختلاف الحكم.

---

(١) ينظر علم أصول الفقه ــ لعبد الوهاب خلاف: ٢٣٢-٢٣٤ والأنموذج ــ للدكتور فاضل عبدالواحد: ٢٨٧.

(٢) إرشاد الفحول ــ للشوكاني: ٢٧٣ والتلويح على التوضيح ــ للتفتازاني: ٢/١٠٢.

(٣) التعارض والترجيح بين الأدلة ــ لعبد اللطيف عبد الله: ١/٣٣٧-٣٣٨.

(٤) ينظر أصول الفقه الإسلامي ــ لبدران: ٤٦٠.

ج/ الجمع باختلاف الحال.[1]

٢/ عند عدم إمكان الجمع بين الأدلة المتعارضة يصار إلى ترجيح أحدهما على الآخر.

والترجيح: هو اقتران الإمارة بما تقوى به على معارضتها.[2] فعند معرفة قوة أحد الطرفين ورجحانه على معارضه يعمل به ويطرح الآخر فالعمل بأحدهما جاء نتيجة توفر مزية له على الآخر لم تكن ملغاة شرعاً ولم تبلغ حد الاعتبار زيادة على أنها لا تومن الطرف الآخر.[3] ويكون ذلك باستخدامنا لعدة اعتبارات منها مراتب الدلالة من حيث القوة والضعف، ومنها ما يلاحظ فيه مكان النزول أو يؤخذ غالب أحوال أهل بلد ما أو بعد استقلاله بالحكم مرجحاً له، أو ما يعلم ضرورة يقدم على ما يعلم ظاهراً وهكذا. وهذه الاعتبارات هي:

أ/ إذا تعارض النص مع الظاهر فيرجح النص وذلك لكونه أقوى دلالة على المعنى.

ب/ إذا تعارض المحكم مع النص فيرجح المحكم لأنه لا يحتمل التخصيص ولا التأويل.[4]

ج/ إذا تعارض المحكم مع الظاهر فيرجح المحكم على الظاهر لقوته في الدلالة.

د/ إذا تعارض المحكم مع المفسر فيقدم المحكم على المفسر.

---

(١) ينظر أصول الفقه الإسلامي ــ لبدران: ٤٥٩ والوجيز ــ لعبد الكريم زيدان: ٣٣٦.

(٢) إرشاد الفحول ــ للشوكاني: ٢٧٣.

(٣) ينظر نهاية السول ــ للبيضاوي: ٤/٤٤٤.

(٤) ينظر أدلة التشريع المتعارضة: ١٠٨ و١١١-١١٢.

هـ/ إذا تعارض حكم ثابت بعبارة النص مع حكم ثابت بإشارة النص يترجح الثابت بالعبارة على الثابت بالإشارة.

و/ إما إذا تعارض حكم ثابت بالإشارة مع حكم ثابت بالدلالة فيرجح الثابت بالإشارة على الثابت بالدلالة.

ز/ ترجح دلالة المنطوق على دلالة المفهوم عند تعارضهما.(١)

ح/ تقديم الآيات المكية على الآيات المدنية عند التصنيف علماً أنه يجوز أن تكون الآيات المكية نزلت على الرسول الكريم بعد عودته إلى مكة والمدنية قبلها، فحين ذلك يقدم حكم الآية المدنية على حكم الآية المكية في التخصيص والتقديم حيث أن غالب الآيات المكية نزلت قبل الهجرة.

ط/ يقدم الحكم الذي يكون على غالب أحوال أهل المدينة على الحكم الذي يكون على غالب أهل مكة.

ي/ ترجيح ما يعلم بالخطاب ضرورة على ما يعلم منه ظاهراً(٢).

ك/ تقديم العام الذي لم يخصص على العام الذي قد خصص ويعلل ذلك بأن دخول التخصيص يضعف اللفظ ويصير به مجازاً.

ل/ يقدم العام الذي لم يرد على سبب على العام الوارد على سبب، لأن الوارد على غير سبب متفق على عمومه، والوارد على سبب مختلف في

---

(١) ينظر التعارض والترجيح بين الأدلة ــ لعبد اللطيف عبد الله: ١١٥ وأدلة التشريع المتعارضة ــ لبدران: ١١٢ و١١٣ و١١٥ والمرشد في علم أصول الفقه ــ لحمدي الأعظمي: ٢٤ و٣٢ والوجيز ــ لعبد الكريم زيدان: ٣٣٥-٣٣٦.

(٢) ينظر البرهان ــ للزركشي: ٢/٤٨-٥٠ ودراسات في أصول التفسير ــ لمحسن عبد الحميد: ١٤٣-١٤٤.

عمومه.[1]

هذا وهناك أنواع للتعارض كتعارض قراءتين وتعارض تأويلين وتعارض أسباب النزول والتعارض بين المعنى الحقيقي والمجازي وغيرها، وكل هذا يجب على المفسر معرفته والأخذ به عند ترجيح نص على آخر.

٣/ **النسخ**: هو بيان انتهاء حكم شرعي **بطريق** شرعي متراخ عنه.[2] ومن الضرورة بمكان أن يعرف المفسر ما ينسخ وما لا ينسخ من الأحكام لكي يستطيع أن يصل إلى تفسير مقبول يدعمه دليل ويتماشى مع الحقائق، والأحكام منها ما يقبل النسخ ومنها ما لا يقبل النسخ قطعاً وهي ما نطلق عليها النصوص المحكمة وفيما يأتي بيان ذلك:

أ/ **الأحكام التي لا تقبل النسخ إطلاقاً هي:**

أولاً: الأحكام الأصلية كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وحرمة الشرك والظلم والزنا وكذلك ما شملته النصوص من مكارم الأخلاق من بر وصدق وعدل، وما تضمنته من نهي عن رذائل الأمور كالعقوق والكذب والخيانة والظلم، فهذه الأحكام لا يجوز نسخها لعدم تطرق النقص إليها ولا يتصور أنها تكون على صفة تستوجب تغييرها.

ثانياً: الأحكام المؤبدة بالنص كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ﴾[3] فلفظ ــ أبدا ــ يدل دلالة قاطعة على أن هذا الحكم دائم لا يزول ولذلك فإن مثل هذه الأحكام لا يلحقه النسخ.

---

(١) إرشاد الفحول ــ للشوكاني: ٢٧٨.

(٢) نهاية السول ــ للبيضاوي: ٥٤٨/٢.

(٣) سورة النور ــ من الآية: ٤.

ثالثاً: ما ثبت التأبيد فيه بدلالة النص وهذا يشمل جميع النصوص التي استقرت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم لأنه بعد وفاته ليس فيها أي احتمال للنسخ، لأنه لا يكون إلا على لسان الرسول الكريم ولانقطاع الوحي.

رابعاً: النصوص التي تضمنت أخبار الأمم السابقة ووقائع حدثت فهذا لا مجال لنسخه، لأن القول بالنسخ معناه تكذيب القائل فنعوذ بالله عما يقولون، وهذا ممتنع عقلا ونقلا: أما عقلا فإن الكذب نقص، والنقص على الله سبحانه محال زيادة على ذلك فإن الكذب خصلة لا يرضى بها المخلوق فكيف بالخالق.[1] أما نقلا فقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾[2].

ب/الأحكام التي تقبل النسخ:

إن الأحكام التي تقبل النسخ هي الأحكام التي تقبل التبديل وذلك في بدء التشريع الإسلامي وفي حياة النبي صلى الله عليه وسلم وتشمل الأوامر والنواهي. يقول مجاهد (رضي الله عنه) وغيره: (لا يدخل النسخ إلا على الأمر والنهي فقط)[3] ومثال ذلك قوله: ﴿ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾[4] فالأمر بالإشهاد عند البيع واضح وكان الصحابة (رضي الله عنهم) يفعلون ذلك سواء في بيع أو ابتياع وهذه

(١) ينظر أصول السرخسي: ٥٩/٢ والاحكام ــ لابن حزم: ٧١/٤/١.

(٢) سورة النساء ــ من الآية: ١٢٢.

(٣) الناسخ والمنسوخ ــ لهبة الله سلامة: ٢٢ وينظر البرهان ــ للزركشي: ٣٣/٢ والعقل وفهم القرآن ــ للمحاسبي: ٢٥١.

(٤) سورة البقرة ــ من الآية: ٢٨٢.

الآية نسخت بقوله جل وعلا: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾[1] فهذا النص نسخ الشهادة الواردة بالنص الأول.[2]

وعليه فعلى المفسر أن يعرف الناسخ والمنسوخ وما ينسخ وما لا ينسخ وأنواع ذلك لكي يطمئن إلى ما يذهب إليه وهو يفسر آيات الله سبحانه وتعالى ولا يقع في الخطأ المتوقع لمن لا يعرف هذا النوع من الضوابط.

٤/ العدول عن الدليلين: في حالة عدم إمكانية الجمع بين الدليلين بغير ترجيح ولا يوجد بينهما تناسخ فعلى المفسر العدول عنهما لتعذر العمل بهما كما لا يجوز العمل بأحدهما دون الآخر لأن الترجيح بدون مرجح محال، وعليه أن يبحث عن دليل آخر لإثبات ما يسعى إليه لتساقط المتعارضين.[3] فعلى سبيل المثال إذا حصل تعارض بين آيتين ولا يمكن رفعه بإحدى الطرق السالفة الذكر لجأ المفسر إلى السنة الشريفة لإزالة التعارض. أما إذا كان التعارض بين حديثين ولا يوجد ما يزيل تعارضهما فعلى المفسر أن يعدل إلى قول الصحابي عند بعضهم وإلى القياس عند البعض الآخر. هذا ولا يعدل في حالة تعارض آيتين إلى السنة ولا عند تعارض سنتين إلى دليل أقل رتبة عند وجود الإجماع ففي هذه الحالة يؤخذ بما وافق الإجماع.[4] أما إذا لم يوجد فيقول الاسنوي: إذا عارض الإجماع نصاً من كتاب أو سنة فإن كان أحدهما قابلاً للتأويل بوجه ما أو القابل له سواء هو الإجماع أو النص جمعاً بين الدليلين، وإن لم يكن أحدهما قابلاً للتأويل تساقطا لأن العمل بهما غير ممكن والعمل بأحدهما دون الآخر ترجيح من غير مرجح، وهذا كله إذا

(١) سورة البقرة ــ من الآية: ٢٨٣.

(٢) ينظر الناسخ والمنسوخ ــ لهبة الله سلامة: ٩٧-٩٨.

(٣) ينظر أدلة التشريع المتعارضة ــ ليدران: ١٨٣.

(٤) ينظر المصدر نفسه: ١٨٩-١٩٠.

كانا ظنيين، فإن كانا قطعيين أو كان أحدهما قطعياً والآخر ظنياً فلا تعارض لأنه لا تعارض بين قاطعين)[1].

وهكذا بمثل هذا التحري المنقطع النظير يتوصل إلى أدق رأي وأرجح قول.

المبحث الرابع

المبادئ العقلية البرهانية لفهم النص القرآني

فطر الإنسان على التفكر وزود بالاستعدادات لتحصيل المعارف، فتراه يزداد علما بواسطة قدراته الحسية والخيالية والوهمية والتي تديرها القوة العقلية التي تجعله يفارق العجماوات.[2] وعليه فما يحصل عليه الإنسان بهذه القوة هو العلم الذي يعني (حضور صورة الشيء عند العقل)[3] وهذا العلم على نوعين:

١. **العلم الضروري**: وهو الذي لا يحتاج لواسطة بل يحصل اضطرارا وبداهة دون تعلم وكسب وإدامة نظر وتركيز فكر، وهذه المعرفة التي لا تحتاج لذلك تدعى المبادئ الأولية والتي يقطع العقل الإنساني بصحتها دونما برهان، كما لا يختلف فيها اثنان ممن يمتلكون سلامة الجنان كتصديقنا بأن الكل أكبر من الجزء، وبأن الشمس طالعة، وأن الواحد نصف الاثنين.

---

(١) شرح الاسنوي: ٣١٦/٢.

(٢) ينظر المنطق ــ لمحمد رضا المظفر: ١٢/١-١٤.

(٣) المصدر نفسه: ١٤/١.

٢. **العلم النظري**: وهو الذي يحتاج لواسطة في سبيل كسبه ومعرفته، فهو يحتاج إلى النظر والفكر، ويطلق عليه العلم المكتسب كتصورنا لحقيقة الكهرباء.(١)

والعلم الضروري لا يكون كذلك ما لم تتوفر أسباب التوجه وهي: الانتباه وسلامة الذهن وسلامة الحواس وفقدان الشبهة ويتوفر هذه الأسباب يحصل اليقين(٢)، واليقين معنيان:

١- عام وهو (مطلق الاعتقاد الجازم)(٣).

٢- خاص وهو (الاعتقاد المطابق للواقع الذي لا يحتمل النقيض لا عن تقليد)(٤) وهذا المعنى هو الذي يدور عليه محور بحثنا في المبادئ العقلية البرهانية فاليقين بمعناه الأخص لابد له من عنصرين لتقويمه:

أ- أن يعاضد الاعتقاد قضية ما اعتقاد ثان، سواء كان بالفعل أو بالقوة القريبة منه، والاعتقاد الثاني هو المقوم وذلك لأن الاعتقاد جازم وهذا هو اليقين بمعناه الأعم.

ب- أن الاعتقاد الثاني يجب أن يكون مما لا يمكن زواله، ويكون بهذه الصفة إن كان مسببا عن علته التي أوجبته ولذلك لا يمكن أن ينفك عنها.(٥) وبهذا

---

(١) ينظر موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين ــ لمصطفى صبري: ٢/٨٤ والمنطق ــ لمحمد رضا المظفر: ١/٢١.

(٢) ينظر المنطق ــ لمحمد رضا المظفر: ١/٢٢-٢٣.

(٣) المصدر نفسه: ٣/٣١٤.

(٤) المصدر السابق: ٣/٣١٤.

(٥) ينظر المنطق ــ لمحمد رضا المظفر: ٣/٣١٤.

يفارق التقليد. ولما كان سبب الاعتقاد مختلفا، فإن القضية اليقينية تنقسم تبعا لاختلاف سبب الاعتقاد إلى: بديهية ونظرية كسبية تؤول في النهاية إلى البديهيات ولما كانت البديهيات هي أصول اليقينيات، فلذلك لابد منها لأن جميع الحقائق تستند إليها، ولولا ذلك لظل البحث يدور في حلقة مفرغة ولا يصل إلى نتيجة، لأن هذه المباديء تحمل براهين نفسها[1]، وهي: الأوليات والفطريات والمشاهدات والمجربات والحدسيات والمتواترات وفيما يأتي إيضاح لكل قسم منها:

١/ **الأوليات:** وهي القضايا التي يحكم العقل بصدقها على وجه الجزم بعد تصور طرفيها، كالحكم بأن الفرد لا يحل في آن واحد بمكانين ، أي أنه يكون حاضرا وغائبا في آن واحد ، وسميت أوليات لأن العقل يدركها بدون واسطة للعقل. وهذه أساس العلوم وتكون حجة على الغير عامة، والأوليات على نوعين: منها جلي واضح لدى الجميع كالمثال المتقدم، ومنها ما هو خفي عند البعض وسبب الخفاء عدم تصور طرفي القضية أو الالتباس ومتى زالا فالعقل يبادر فورا للاعتقاد الجازم[2]، ومثاله القول بأن (الأشياء المساوية لشيء واحد متساوية)[3] ولأجل أن يتضح مفهوم الأوليات أكثر لأنها الأساس في اليقينيات نبين ما يأتي:

أ. بطلان الرجحان بلا مرجح: والرجحان بلا مرجح معناه (أن يكون الشيء جاريا على نسق معين ثم يتغير عن نسقه ويتحول عنه بدون

---

(١) ينظر المنطق ــ لمحمد رضا المظفر: ٣/٣١٤ وكبرى اليقينيات الكونية ــ محمد سعيد البوطي: ٨٣.

(٢) المواقف ــ للايجي: ١/١٤٨-١٤٩.

(٣) كتاب الأربعين في أصول الدين ــ للرازي: ٤٨٠ وشرح المقاصد ــ للتفتازاني: ١/٤٤.

وجود أي مغير أو محول إطلاقا)[1] وبطلان هذا معروف فطرة، كترجح إحدى كفتي ميزان على الأخرى دون مؤثر خارجي سواء كان هواء أو ثقلا أو غير ذلك، فهذا الأمر لا يستند لحقيقة ولا تقره فطرة سليمة لاستحالته عقلا.[2]

ب. بطلان التسلسل: التسلسل يعني: (إن المخلوقات كلها متوالدة عن بعضها إلى ما لا نهاية، بحيث يكون كل واحد منها معلولا لما قبله وعلة لما بعده دون أن تنتهي هذه السلسلة أخيرا من علة واجبة الوجود هي التي تضفي التأثير المتوالد على سائر تلك الحلقات)[3] وهذا باطل لكل ذي لب إذ أن هذه السلسلة مهما طالت فإنها لا تخرج من كونها من الممكنات، وكما هو معلوم إن الممكنات لابد من رجحان أحد طرفي الإمكان فيها من مرجح لأن الترجيح بغير مرجح محال.

ج. استحالة الدور: الدور هو(توقف الشيء على ما يتوقف عليه إما بمرتبة أو أكثر)[4] وهو مستحيل وهذا ما يتفق عليه جميع العقلاء وسبب بطلانه: أنه يستلزم تقدم الشيء على نفسه وتأخره عنها في آن واحد وهذا محال.

د. مبدأ العلية: من الحقائق الثابتة بداهة مبدأ العلية أو ما يسمى دليل الحكمة، وهذا المبدأ يقوم على لزوم(أن لكل حادثة علة)[5] ولما لم نكن

---

(١) كبرى اليقينيات الكونية ــ لمحمد سعيد البوطي: ٨٣.

(٢) كبرى اليقينيات الكونية ــ لمحمد سعيد البوطي: ٨٥.

(٣) ينظر المصدر نفسه: ٨٦.

(٤) شرح الباجوري على جوهرة التوحيد: ٣٨.

(٥) ينظر موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين ــ لمصطفى صبري: ٢/٨٤ و١٧١.

نحن عللها وجب أن تكون العلل خارجة عنا.[1] وتعليلنا الأشياء بعضها لبعض تعليل حقيقي له قيمة وجودا وعقلا كما للعلة الفاعلية، فقولنا أن الساعة تقيس الزمن لأن أجزاءها منسقة لا نستنتج أن أجزاء الساعة لم تتسق لأجل قياس الزمن فالحقيقة البديهية هذه والتي تسمى العلة الغائية هي أصل في مسألة الدليل على وجود الخالق، الذي يستند على علة مؤثرة ثابتة بالاستقراء التام.[2]

- مبدأ التناقض: إن من المبادئ التي يشترك في معرفتها العالم وغيره إن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان، فلا يتصور أن زيدا في مكان وزمان معينين يكون موجودا وغير موجود فيهما لأنه لا يصح صدقهما معا ولا كونهما معا لأن في الصدق يجتمع النقيضان وفي الكذب يرتفع النقيضان وكلاهما محال، ولذلك ثبت أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان وعليه فلابد من أن يكون أحد طرفي القضية صدقا والآخر كذبا.[3]

٢/ القطريات: وهي القضايا (التي يحكم بها العقل بواسطة لا يغرب عنه عند تصور الطرفين وهو المعنى بأمر لازم منضم إلى القضية ولهذا تسمى قضايا قياساتها معها كالحكم بأن الأربعة زوج لانقسامها بمتساويين)[4] وهذا يصدق على كل منقسم إلى متساويين، وحضور القياس في العقل اقتضى عدم الحاجة إلى الكسب والنظر، ومبادرة العقل لفهم مثل هذه القضايا تختلف باختلاف تفكير الإنسان وقلة

---

(١)ينظر موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين ــ لمصطفى صبري: ٢/٨٤ و٨٥.

(٢) ينظر العقل والوجود ــ ليوسف كرم: ١٩١.

(٣) ينظر موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين ــ لمصطفى صبري: ١/٣٢٦.

(٤) شرح المقاصد ــ للتفتازاني: ٤٤.

الأعداد وكثرتها، فإننا نجد الفرق في سرعة انتقال الذهن بين نسبة (٣) إلى (٦) وبين (١٧) إلى (٣٤) مع العلم إن النسبة واحدة وهي النصف.[١]

٣/ **المشاهدات**: وهي القضايا التي يحكم بها العقل جزما بواسطة حسن ظاهر أو حسن باطن وتسمى المحسوسات.[٢] وهي على نوعين:

أ.الحسيات: وهي القضايا المتيقنة بواسطة الحواس الظاهرة كالبصر والسمع والذوق والشم واللمس، فالله سبحانه قد (خلق تلك الحواس لإدراك أشياء مخصوصة كالسمع للأصوات والذوق للمطعوم والشم للروائح لا يدرك بها ما يدرك بالحاسة الأخرى)[٣] فحكمنا بأن الشمس مشرقة والنار محرقة وهذه الثمرة حلوة المذاق وهذه الزهرة طيبة الرائحة وهذا الصوت جميل بناء على تلك القدرة المودعة فينا.[٤] وما دامت الحسيات كذلك فإنها تتناول التجريبيات والحدسيات والمشاهدات والمتواترات والمحسوسات، وتكون حجة على الغير في حالة ثبوت الاشتراك في أسبابها خاصة فيما تستلزمه التجربة أو التواتر أو الحدس أو المشاهدة.[٥]

ب.الوجدانيات: وهي القضايا المتيقنة بواسطة الحس الباطن وهذه هي (التي نجدها أما بنفوسنا أو بالاتنا الباطنية كعلمنا بوجود ذواتنا وخوفنا وغضبنا ولذتنا وألمنا وجوعنا وشبعنا)[٦] والوجدانيات قليلة النفع وذلك لعدم اشتراك أسبابها ولأنها تفيد صاحب الوجدان فقط، وعليه فلا تكون حجة على الغير.[٧] والحكم الحسي لا

---

(١) ينظر أشرف المقاصد في شرح المقاصد ــ للمكناسي: ٤٣.

(٢) ينظر شرح المقاصد ــ للتفتازاني: ٤٣.

(٣) شرح العقائد النفسية ــ للتفتازاني: ١٢٠.

(٤) ينظر شرف المقاصد في شرح المقاصد ــ للمكناسي: ٤٢-٤٣.

(٥) شرح المواقف ــ للجرجاني: ١/١٢٤.

(٦) شرح المواقف ــ للجرجاني: ١/١٢٤.

(٧) ينظر المواقف ــ للايجي: ١/١٢٤.

يكون إلا جزئيا(لأنه لا يفيد إلا أن هذه النار حارة وأما الحكم بأن كل نار حارة فحكم عقلي حصل بمعونة الاحساس بجزئيات ذلك الحكم والوقوف على علله)[1].

٤/ **التجريبيات**: وهي القضايا التي (يحكم بها العقل بواسطة الحس مع التكرار)[2] فنتيجة التكرار يحصل ما يرسخ في النفس حكما لا يتطرق إليه الشك لأن ذلك لا يقع اتفاقا، فلابد من سبب حتى لو لم تعرف ماهيته، وفي حالة العلم بوجود السبب يكون وجود المسبب قطعية كما نشاهد تمدد الأجسام بالحرارة، وككحمنا بأن الضرب بالعصا مؤلم، ومسائل العلوم الطبيعية والكيمياء والطب من هذا النوع الذي يقوم على التجربة والحكم القطعي في التجريبيات يقوم على قياسين خفيين استثنائي واقتراني، ويستخدمها الإنسان في قرارة نفسه وتفكيره دون التفات، ولما كانت مقدمتا القياسين الاستثنائي والاقتراني بديهيتين فإن الحكم في التجريبيات يرجع على القضايا الأولية والمشاهدات في نهاية الأمر، ولابد من الإشارة إلى أنه ليس كل التجارب تقتضي اليقين، فكثيرا ما نشاهد خطأ بعضها وهذا ناتج من أن ملاحظاتهم في تلك التجارب غير دقيقة، فقد يعدون ما ليس بعلة علة أو يحسبونها تامة وهي ناقصة، وهذا لا يرتقي لحصول صدق المقدمة الثانية للقياس الاستثنائي ، لأنه قد يحصل الأثر بصورة غير دائمة ولكن المجرب عدّه دائمي لأسباب عديدة، قد تكون جهلا أو غفلة أو قصور إدراك أو تسرعا في الحكم أو أن ملاحظاته لم تكن شاملة لحوادث كثيرة فنتج التقصير، فالخشب يطفو على الماء ولكن لا يمكن تعميم ذلك لأن بعض أنواع الخشب الثقيل لا يطفو ولو جربنا مع مواد أخرى

(١) شرح المقاصد ــ للتفتازاني: ٤٤.

(٢) المواقف ــ للايجي: ٣٩/٢.

لوجدناها تختلف باختلاف وزنها ونصل بالنتيجة إلى قاعدة عامة هي أن الأجسام تطفو على السائل إذا كانت أخف منه وزنا وترسب إذا كانت أثقل منه وزنا.[1]

٥/ الحدسيات: هي (قضاياها مبدأ الحكم بها حدس قوي يزول معه الشك كعلم الصانع بإتقان فعله)[2] فمشاهدتنا لهذا العالم الواسع المحكم والمتقن صنعه حكمنا إنه لا يكون كذلك إلا من عالم متقن فحكمنا هذا حدس لاشيء بخالطه ولا افتراء يلفه بل يحصل به اليقين للقرائن القوية التي استندنا إليها. وكذلك حكمنا بأن نور القمر مستفاد من نور الشمس لما نلاحظ من اختلاف في أوضاعه بالنسبة لمقابلة الشمس أو عدمها وقربه وبعده عنها، وعليه فإن العقل يحدس إنه لو لم يكن نور القمر مستفادا من نور الشمس لما كان كذلك، فتكرر المشاهدة ، ومقارنة القياس الخفي تجعل الحدسيات كالمجربات[3] ولكن الفرق بينهما هو (إن السبب في المجربات معلوم السببية مجهول الماهية فلذلك كان القياس المقارن لها قياسا واحدا وهو أنه لو لم يكن لعلة لم يكن دائما ولا أكثريا، وأن السبب في الحدسيات معلوم السببية والماهية معا فلذلك كان المقارن لها أقيسة مختلفة بحسب اختلاف العلل في ماهياتها)[4].

٦/ المتواترات: وهي القضايا التي يحكم بها العقل (بمجرد خبر جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب)[5] وسميت بالمتواترات لأنها لا تقع دفعة واحدة بل إن وقوعها يكون على التعاقب والتوالي، والمتواترات يحصل بها الجزم القاطع لسكون

---

(١) ينظر المواقف وشرحه ــ للايجي: ٣٩/٢ وشرح المقاصد ــ للتفتازاني: ٤٤.

(٢) شرح المواقف ــ للجرجاني: ٣٩/٢ وشرح المقاصد ــ للتفتازاني: ٤٤.

(٣) ينظر شرح المقاصد ــ للتفتازاني: ٤٤.

(٤) شرح المواقف ــ للجرجاني: ٤٠/٢.

(٥) المواقف ــ للايجي: ٤٠/٢ ولباب الإشارات ــ للرازي: ٢٧.

النفس واطمئنانها وزوال الشك عنها كعلمنا بالمدن النائية ونزول القرآن المجيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووجود بعض الأمم السالفة والملوك الخالية، والخبر المتواتر مصداقه ثبوت العلم من غير شبهة تحفه لكون التواتر جاء من مخبرين علموا بما أخبروا على وجه الضرورة زيادة على عددهم الذي يقطع الشك (فيضم إلى العقل سماع الاخبار وإلى القضية قياس خفي هو أنه لو لم يكن هذا الحكم حقاً لما أخبر به هذا الجمع)[1] وذهب قوم إلى تحديد عدد معين لحصول التواتر وهذا خطأ لأن ذلك يختلف بحسب الوقائع، وحصول اليقين يدل على تمام العدد لامتناع تواطئهم على الكذب وامتناع خطئهم، وهذا هو مدار حصول اليقين للخبر المتواتر.[2]

بعد هذا العرض للمبادئ العقلية البرهانية يتضح أنها ليست على مستوى واحد من اليقين فأعلاها الأوليات إذ أن فهمها لا يفوت إلا على من عطلوا عقولهم وحواسهم تجاه هذه البدهيات ثم تأتي القضايا الفطرية ثم المشاهدات بنوعيها الحسيات والوجدانيات أما المجربات والحدسيات والمتواترات فكما لاحظنا من ماهياتها من أنها وإن كانت حجة على الفرد مع نفسه لكنها ليست حجة له على غيره إلا في حالة مشاركته في الأمور المقتضية لها من تجربة أو حدس أو تواتر.[3]

وعليه فلابد لمن يتصدى لدراسة نص قرآني دراسة تحليلية أن يضع هذه المبادئ العقلية البرهانية نصب عينيه عندما يتصدى لمثل هذه الدراسة التفسيرية، وأن يكون على علم شامل بجزئياتها ودقائق أمورها لأنها تعاضد الضوابط الأخرى لتسلك به

---

(١) شرح المقاصد ــ للتفتازاني: ٤٤.

(٢) ينظر المنطق ــ لمحمد رضا المظفر: ٣٢٠.

(٣) ينظر شرح المواقف ــ للجرجاني: ٤٢/٢ والوسيلة في شرح الفضيلة ــ للمدرس: ٩٦.

طريقاً تحفه السلامة وتتغشاه أنوار الهداية للوصول لتفسير محمود يتصف بمنهج سليم وضوابط صحيحة.

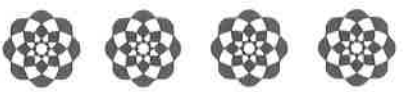

الفصل الثالث

خطوات منهج التفسير التحليلي

ويشتمل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: تحليل الكلمات.

المبحث الثاني: أسباب النزول.

المبحث الثالث: مناسبة الآيات والسور.

المبحث الرابع: القراءات القرآنية.

المبحث الخامس: الإعراب.

المبحث السادس: القضايا البلاغية.

المبحث السابع: المعنى العام.

المبحث الثامن: ما يستفاد من النص.

الفصل الثالث

خطوات منهج التفسير التحليلي

للمنهج التحليلي خطوات معروفة يجب على الباحث أن يترسم مدارجها، لأجل الوصول إلى أدق الحقائق وأصدق المعاني وأفضل النتائج التي تؤدي دورها في الهداية والإصلاح والبناء وتحرير العقول من تصحرها الفكري والنفوس من ربقة الشهوات لما يقدمه التحليل من معان سامية ويكشف من دلالات هادية والمحلل قد يكون سورة قرآنية كاملة أو مجموعة من الآيات تخص موضوعا وعليه فعلى الباحث أن يرسم منهجه وفق كل حالة منهما وكما يأتي:

١- إذا كان التحليل يخص سورة قرآنية كاملة فعلى الباحث أن يجعل دراسته مقسمة على فصول كما يأتي:

الأول- يعتمد دراسة السورة من الجوانب الآتية:

١. اسم السورة وعدد آياتها وكلماتها وحروفها.
٢. نزول السورة سببا ومكانا وتاريخا وترتيبا.
٣. الناسخ والمنسوخ في السورة.
٤. المناسبة.
٥. الوحدة الموضوعية للسورة.
٦. محاور السورة.
٧. فضل السورة.

الثاني- إذا كانت السورة من قصار السور فيمكن دراستها كلها وفق خطوات المنهج التحليلي التي سأبينها فتعطى كل خطوة عنوان فصل زيادة على ما تقدم من دراسة لجوانب السورة

أما إذا كانت السورة من طوال السور ففي هذه الحالة يمكن تقسيمها إلى محاور نجعل كل واحد منها فصلا فيعطى عنوانا ويدرس وفق المنهج التحليلي التي تأخذ كل خطوة منه عنوان بحث منه.

٢- أما إذا كان التحليل يشمل مجموعة من الآيات تخص موضوعا ففي هذه الحالة على الباحث أن يجعل دراسته كما يأتي:

أولا- يقدم الباحث دراسة حول موضوع الآيات تعريفا وأهمية وأنواعا وأي معلومة يحتاجها البحث.

ثانيا- يقسم الباحث الآيات إلى مجاميع ولاسيما الآيات التي يصعب توجيهها في جانب من جوانب موضوع الآيات وتعطى عنوانا وتحلل وفق الخطوات العلمية للمنهج التحليلي ، ومجموع دراسة هذه الفصول سيعطي النتائج المطلوبة. ولأجل أن يكون الباحث على علم ودراية بخطوات المنهج التحليلي التي سيسلكها في بحثه وهو يتخطاها دليل عمل ومنار هدى ومعالم طريق وهي: تحليل الكلمات وأسباب النزول ومناسبة الآيات والسور والقراءات والإعراب والبلاغة والمعنى العام وما يستفاد من النص والتي سأبينها في المباحث الآتية:-

المبحث الأول

تحليل الكلمات

إن الوصول إلى المعاني المرادة للنص لابد للباحث في التفسير أن يعرف أصول الكلمات ودلالاتها الصرفية؛ لأن ذلك لا يقل أهمية عن معرفة النحو في تعريف اللغة؛ لأن التصريف هو نظر في ذات الكلمة والنحو نظر في عوارضها،

وبهما تحصل المعاني المتشعبة عن أصل واحد.[1] ومن هذا المنطلق تظهر أهمية علم الصرف لكونه يرفد الدلالة بالمعاني المرادة من الألفاظ من جهة الصيغ التي تحدد بموجبها المعاني المختلفة من جهة أخرى، مما أدى إلى إثراء اللغة بالمفردات اللغوية الكثيرة ولعل المستفيد الأول من هذا هو علم التفسير ؛ لأنه من فاته علم التصريف فاته معظم العلم الذي يتوصل به إلى المراد.[2] فعلى سبيل المثال لا الحصر قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ﴾[3].

فمعنى (تنكحوا): تتزوجوا؛ لأن الفعل متصرف من الثلاثي نكح. بينما (تنكحوا) بضم التاء: تزوجوا فهو متصرف من المزيد الثلاثي أنكح ينكح، ولولا التصريف ما عرف التفريق بينهما ولو فسر الثاني بما فسر به الأول لفسد المعنى. وعليه فعلى الباحث أن يحسن الوقوف عند تحليل الكلمات فيتصرف على أصلها وتصريفها ويقتصر على بعض المعاني التي تتناسب والسياق، معنى ذلك أن لا ينقل كل المعاني التي لها صلة ولو من بعيد لكي يتجنب الإطناب ويكون بحثه مركزا وواضحا للقارئ دون أن يضيع في غضم المعاني الكثيرة، أما إذا ذكر الوجوه والنظائر للكلمة فعليه أن يحدد الوجه المراد وما يتناسب مع سياق النص؛ لأن الكلمة لا ينكشف معناها إذا نظرت إليها مفردة ولكنها عن طريق الاستعمال تنكشف دلالتها ويظهر معناها من نظمها مع غيرها في هذا النظم وهذا ما يسعى الباحث لإظهاره[4] والذي يهمنا السياق اللغوي لمعرفة مدلول الكلمة من خلال موقعها فعلى

(١) ينظر البرهان ــ للزركشي: ٢٩٧/١.

(٢) الصاحبي في اللغة العربية ــ لابن فارس: ١٤٣.

(٣) سورة البقرة ــ من الآية: ٢٢١.

(٤) ينظر دور الكلمة في اللغة ــ لستيفن اولمان: ٥٤-٥٥.

سبيل المثال لا الحصر كلمة (الضالين) التي ترد في سياقات متنوعة تعطي معاني متنوعة كما في قوله سبحانه: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[1] جاء معناها في النص (النصارى)[2] ولكنها جاءت بمعنى (الجاهلين)[3] في قوله تعالى: ﴿وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾[4] وهذا ما يجعل الباحث يفهم حقائق الألفاظ المفردة، التي أودعت في القرآن عن طريق استعمالات أهل اللغة.[5] فعلى الباحث أن يثبت في تحليله الكلمات لكون بعضها توهم ولاسيما لمن لا يعرف صيغ الفعل وعليه أن يتجنب تسمية هذه الخطوة بتحليل الألفاظ لأن بعض الألفاظ لا يعني شيئا ولا يمكن تحليلها، ويجب على الباحث أن يكون مرجعه وتحقيق مراده المعاجم اللغوية وزيادة للفائدة أذكر منها ما يأتي:

١. كتاب العين للفراهيدي (١٧٥ هـ).
٢. معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٩٥ هـ).
٣. لسان العرب لابن منظور (٧١١ هـ).
٤. القاموس المحيط للفيروزآبادي (٨١٧ هـ).
٥. تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي (١٢٠٥ هـ).

---

(١) سورة الفاتحة ــ من الآية: ٧.
(٢) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ــ للسعدي: ٣٩.
(٣) ينظر التفسير القرآني للقرآن ــ لعبد الكريم الخطيب: ٧٩/١٩.
(٤) سورة الشعراء ــ من الآية: ٢٠.
(٥) ينظر التبيان في علوم القرآن ــ للصابوني: ١٦٤.

المبحث الثاني
أسباب النزول

لابد لمن يتصدى لتفسير القرآن الكريم أن يكون على علم في أسباب نزول الآيات القرآنية وسوره؛ لأن (العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب)[1]؛ ولأن بعض النصوص لا يمكن فهم المراد منها ما لم يعرف سبب نزولها وعمدة ذلك كما يقول الشاطبي (رضي الله عنه): مقتضيات الأحوال: ولا كل حال ينقل ولا كل قرينة تقترن بنفس الكلام المنقول إذا فات نقل بعض القرائن الدالة فات فهم الكلام جملة أو فهم شيء منه، ومعرفة الأسباب مرافقة لكل مشكل في هذا النمط، فهي من المهمات في فهم الكتاب بلابد، ومعنى معرفة السبب هو معنى معرفة مقتضى الحال)[2]. كما أن الجهل بسبب النزول قد يؤدي إلى الاختلاف في تحديد المراد من النص لكون (الجهل بأسباب النزول موقع في الشبهة والإشكالات ومُوْرِدٌ للنصوص الظاهرة مَوْرِدَ الإجمال حتى يقع الاختلاف وذلك مظنة وقوع النزاع)[3] كما روي بُكير: (إنه سأل نافعا كيف كان رأي ابن عمر (رضي الله عنه) في الحرورية؟ قال: يراهم شرار خلق الله، إنهم انطلقوا إلى آيات أنزلت في الكتاب فجعلوها على المؤمنين)[4] وهذا يؤكد أهمية معرفة أسباب نزول الآيات الكريمة وفوائد النزول هي:

١. معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم.
٢. تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب.

---

(١) مقدمة في أصول التفسير ـ لابن تيمية: ٦٠.
(٢) الموافقات ـ للشاطبي: ٣/٣٤٧.
(٣) الموافقات ـ للشاطبي: ٣/٣٤٧.
(٤) المصدر نفسه: ٣/٣٤٨.

٣. أن اللفظ قد يكون عاما، ويقوم الدليل على تخصيصه، فإذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته، فإن دخول صورة السبب قطعي وإخراجها بالاجتهاد ممنوع.

٤. الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال؛ لأنه لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾[١] فإنا لو تُركنا ومدلول اللفظ لاقتضى أن المصلي لا يجب عليه استعمال القبلة سفرا ولا حضرا، وهو خلاف الاجماع، فلما عرف سبب نزول الآية علم أنها في نافلة السفر، أو فيمن صلى بالاجتهاد لتعذر تحديد القبلة وبان له الخطأ.

٥. دفع توهم الحصر والذي يفهم من قوله تعالى: ﴿ قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٢] إن الكفار لما حرموا ما أحل الله وأحلوا ما حرم الله، وكانوا على المضادة والمحادة فجاءت الآية مناقضة لغرضهم، فإنه قال: لا حلال إلا ما حرمتموه ولا حرام إلا ما أحللتموه.

٦. معرفة من نزلت فيه الآية على وجه التعيين قال سبحانه: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ * أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴾[٣] فالناظر في النص لا يهتدي من هو المقصود من العميان فهم

---

(١) سورة البقرة ــ الآية: ١١٥.

(٢) سورة الأنعام ــ الآية: ١٤٥.

(٣) سورة عبس ــ الآية: ١-٢.

كثر ولكن عرفت القصة وشوهدت الحالة من الكثيرين، فقد روت عائشة (رضي الله عنها) إنها نزلت في ابن أم مكتوم الأعمى.(١)

مما تقدم تظهر لنا أهمية معرفة أسباب النزول لأنها عون على فهم المراد وتخصيص العام أو إطلاق المقيد وإزالة بعض الإشكالات التي قد تفضي إلى النزاع، ولذلك على الباحث في علم التفسير أن يتعرف على أسباب النزول معرفة حقيقية ليكون عمله ناجحاً وقد يجد أكثر من سبب في حادثة واحدة ففي هذه الحالة عليه أن يتبع الآتي لجلاء الحقيقة:

١/ إذا لم تكن الصيغ الواردة صريحة مثل (نزلت هذه الآية في كذا) أو (أحسبها نزلت في كذا) فلا منافاة بينهما، إذ المراد التفسير، وبيان أن ذلك داخل في الآية ومستفاد منها وليس المراد ذكر سبب النزول إلا إذا قامت قرينة على واحدة بأن المراد بها السببية.

٢/ إذا كانت إحدى الصيغ غير صريحة كقوله (نزلت في كذا) وصرح آخر بذكر سبب مخالف فالمعتمد ما هو نص في السببية، وتحمل الأخرى على دخولها في أحكام الآية.

٣/ إذا تعددت الروايات وكانت جميعها نصاً في السبب وكان إسناد أحدها صحيحاً دون غيره فالمعتمد الرواية الصحيحة.

٤/ إذا تساوت الروايات في الصحة ووجد وجه من وجوه الترجيح كحضور القصة مثلاً أو كون إحداها أصح قدمت الرواية الراجحة.

٥/ إذا تساوت الروايات في الترجيح جمع بينهما إن أمكن، فتكون الآية قد نزلت بعد السببين أو الأسباب لتقارب الزمن فيهما.

---

(١) ينظر أسباب النزول ــ للواحدي: ٣٣٢.

٦/ إن لم يمكن الجمع لتباعد الزمن فإنه يحمل على تعدد النزول وتكرره.[١]

واضح مما تقدم لا يتمكن الباحث من تحقيق المعنى المراد ما لم يعرف ذلك وإلا سقط في الوهم وابتعد عن المعنى المراد لأنه (لا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها... وقد قال محمد بن سيرين سألت عبيدة عن آية من القرآن فقال: اتق الله وقل سداداً ذهب الذين يعلمون فيمَ أنزل الله القرآن)[٢] ولذلك على الباحث أن يراجع مظان هذا العلم من مصادره الرئيسية وأهمها:

١. أسباب النزول للواحدي (ت ٤٢٧هـ).
٢. العجاب في بيان الاسباب لابن حجر (ت ٨٥٢هـ).
٣. لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي (ت ٩١١هـ).

المبحث الثالث

مناسبة الآيات والسور

إن القرآن الكريم يعد وحدة متماسكة فكل آية تأخذ بحجزة الأخرى وكذلك سوره فالذي يتابع الأمر هذا سيجد أن السابق واللاحق يشكلان سياقاً يفيدنا في تفسير النص، ومع ذلك فإننا نجد بعض المفسرين يحمل النص على معنى لا يخرجه عن سياق الآيات، وبعضهم يخرجه عن معنى سياق الآيات ففي هذه الحالة

(١) ينظر الإتقان ــ للسيوطي: ٩١/١-٩٦ ومباحث في علوم القرآن ــ لمناع القطان: ٨٧-٩٠.
(٢) أسباب النزول ــ للواحدي: ٣-٤ وينظر الإتقان ــ للسيوطي: ٨٩/١.

حمله على السياق أولى، لأنه أوفق للنظم وأليق بالسياق، إلا أن يقوم دليل يمنع من حمله على السياق أو يصحح غيره.[1]

وعليه فعلم المناسبة علم شريف ويعني: المشاكلة والمقاربة[2]، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها، عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظير والضدين.[3] ولاسيما إذا علمنا أنه ترتيب الآيات ترتيباً توقيفياً.[4]

ولأهمية هذا العلم يقول الفخر الرازي: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط[5]، في آياته وسوره، وهذه العلاقات بين أجزاء الكلام يقوى ارتباطها، فالتأليف كالبناء المحكم المتلائم الأجزاء.[6] وذكر الآية بعد الأخرى، إما أن يكون ظاهر الارتباط، وإما ألا يظهر الارتباط وإما أن تكون معطوفة على الأولى بحرف من حروف العطف المشتركة في الحكم أو غير معطوفة والحالة هذه من دعامة تؤذن باتصال الكلام؛ وهي قرائن معنوية تؤذن بالربط وله أسباب هي:

---

(١) ينظر قواعد الترجيح عند المفسرين ــ لحسين بن علي الحربي: ١/١٢٥.

(٢) البرهان في تناسب سور القرآن ــ للثقفي: ٦٢.

(٣) الإتقان في علوم القرآن ــ للسيوطي: ١/٣٢٣.

(٤) المصدر نفسه: ١/١٧٦.

(٥) ينظر التفسير الكبير ــ للرازي: ٧/١٣٨.

(٦) ينظر الإتقان ــ للسيوطي: ١/٣٢٣.

١. مناسبة فواتح السور وخواتمها كما في فاتحة سورة (المؤمنون): ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[١] وفي نهايتها: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[٢].

٢. مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها.

٣. اختصاص كل سورة من السور المفتتحة بالحروف المقطعة بما بدئت به حتى لم يكن من الممكن أن توضع (الم) في موضع (الر).[٣]

٤. التنظير ونعني به إلحاق النظير بالنظير وهذا من شأن العقلاء.

٥. المضادة أو ما يسمى بالجامع الوهمي لأنه ليس بجامع حقيقي، وإنما هو التضاد أو شبه التضاد كالجمع بين السواد والبياض والموت والحياة، ولاشك أن هذا الإدراك للمعاني المتضادة فوائد جمة منها: تنبيه السامع بإردافه لسرد ما يضاده أو يناقضه أو يقابله، واستيعاب ما للأحق من المزايا والخواص والنتائج التي يخالف مزايا السابق وخواصه ونتائجه.

٦. الاستطراد هو ما يذكر الشيء عرضاً بسبب مناسبة تولدت من السياق، ثم إذا فرغ المتكلم من ذكر ما استطرد له يعود إلى ذكر الشيء الذي هو مقصود بالذات ومعنى له فلا ينقلب إلى ما قبله.

٧. حسن التخلص هو أن تنقل مما ابتدئ به الكلام إلى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاساً دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع معه بالانتقال من

---

(١) سورة المؤمنون ــ الآية: ١.

(٢) سورة المؤمنون ــ الآية: ١١٧.

(٣) تناسق الدر في تناسب السور ــ للسيوطي: ٤٥-٦ والذي سماه المحقق عبد القادر أحمد عطا بـ (أسرار ترتيب القرآن).

المعنى الأول إلا وقد وقع عليه الثاني لشدة الالتئام بينهما.[1]

مما تقدم فإن أردت أن تعرف مناسبات الآيات يلزمك أن (تنظر إلى الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام أو اللوازم التابعة له، التي تقتضي البلاغة شفاء العليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، فإذا فعلته تبين لك وجه النظم مفصلا بين كل آية وآية في كل سورة وسورة)[2] هذا وإن الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم ترجح أن ترتيب سوره أمر توقيفي وليس اجتهادي للأدلة التي تؤكد ذلك وهي:

١- كون سور الحواميم رتبت ولاء، وكذا سور الطواسين، ولم ترتب المسبحات ولاء، بل فصل بين سورها فلو كان الأمر اجتهادياً لذكرت المسبحات ولاء كذلك.

٢- أوجه التناسب بين كل سورة وما قبلها، وبيان وجه ترتيبها.

٣- الإجماع المنعقد على ذلك فالصحابة قد أجمعوا على هذا الترتيب فقرأوا به في صلواتهم وفي المصاحف من غير مخالفة.[3]

٤- موافقة أول سورة لآخر ما قبلها كآخر سورة (الحمد) في المعنى وأول سورة (البقرة).

---

(١) ينظر الإتقان ــ للسيوطي: ٣/٣٢٤-٣٢٥ وموجز البيان في مباحث القرآن ــ لكمال الدين الطائي: ١٥٢-١٥٤.

(٢) البرهان في تناسب سور القرآن ــ للثقفي: ٦٥ والإتقان ــ للسيوطي: ٣/٣٢٧-٣٢٨.

(٣) ينظر علوم القرآن الكريم ــ لنور الدين عتر: ٤٤-٤٥.

٥- التوازن في اللفظ كآخر سورة (تبت) وأول سورة (الإخلاص).

٦- مشابهة جملة السورة للجملة الأخرى كسورة (الضحى) وسورة (ألم نشرح).[1]

فاستيعاب الباحث لما تقدم تجعله أكثر دقة فيما يقدم من علاقات بين الآيات أو السور. وهناك مصادر تمكن الباحث لتحقيق ما يصبو إليه في دراسته التفسيرية التحليلية ومنها على سبيل المثال ما يأتي:

١/ درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الاسكافي (ت ٤٣١هـ).

٢/ البرهان في تناسب سور القرآن لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي (ت ٧١٨هـ).

٣/ تناسق الدرر في تناسب السور لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) والذي سماه محققه عبد القادر احمد عطا (أسرار ترتيب القرآن).

المبحث الرابع

القراءات

إن الوقوف عند القراءات القرآنية يعد أمراً في غاية الأهمية لمن يريد أن يبحث في التفسير؛ كون القراءة هي إحدى دعائمه، وهي الأساس في بناء اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، فكل وجه من وجوه القراءة لهذه اللفظة أو تلك تؤدي إلى كثرة المعاني التي يفيد منها المفسر في التفسير ما غمض عليه من الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم من لغات العرب، فقراءة قوله تعالى: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ

(١) ينظر موجز البيان في مباحث القرآن ــ لكمال الدين الطائي: ١٥٥.

﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾[1] بنصب وخفض كلمة (وأرجلكم) تدلنا على أحكام: فقراءة (النصب) بيان لحكم غسل الرجل حيث يكون العطف على معمول فعل الغسل ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾[2] وقراءة (الجر) بيان لحكم المسح على الخفين عند وجود ما يقتضيه حيث يكون العطف على معمول فعل المسح ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾[3] فنستفيد من الحكمين من غير تطويل وهذا من معاني الإعجاز في الإيجاز بالقرآن.[4] كما عد بعضهم أن القراءة الشاذة هي تفسير للقراءة المشهورة، وبيان معانيها كما في قوله سبحانه: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾[5] صلاة العصر)[6] ومن هذا المنطلق يجب أن يعلم الباحث أن (القراءة سنة مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا تكون القراءة بغير ما روي عنه)[7] وعليه أن لا يرجح إحدى القراءات الصحيحة على الأخرى ترجيحاً يكاد يسقط القراءة الأخرى؛ لأن كلتيهما متواترة فيكون عملاً غير مرضي.[8] فالقراءة بهذا الفهم تعد من الأهمية بمكان، كيف لا والقراءة بمجرد أنها قراءة يجري عليها ثواب وعقاب بالنسبة للقارئ نفسه، فكيف لمن يتصدى للتفسير وهو لا يعرف وجهاً واحداً فضلا عن وجوه القراءات الأخرى التي تبنى

---

(١) سورة المائدة ــ من الآية: ٦.

(٢) سورة المائدة ــ من الآية: ٦.

(٣) سورة المائدة ــ من الآية: ٦.

(٤) ينظر مباحث في علوم القرآن ــ مناع القطان: ١٨٠.

(٥) سورة البقرة ــ الآية: ٢٣٨.

(٦) ينظر تفسير القرآن العظيم ــ لابن كثير: ١/٢٩١.

(٧) البرهان ــ للزركشي: ١/٣٢٢.

(٨) البرهان ــ للزركشي: ١/٣٣٩.

عليها الأحكام، وتتشعب منها المعاني التي يمكن بواسطتها الوصول إلى المراد من كتاب الله سبحانه، وهذا يؤكد الاهتمام ويدفع الباحث إلى أن يجعل القراءات القرآنية واجب شرعي، ولذلك على الباحث في التفسير أن يجعلها من اهتماماته للوصول إلى المعاني المرادة، وعليه أن يوجه القراءات توجيهاً نحوياً ويبرز فوائد ذلك لتظهر المعاني المرادة من هذا التنوع في القراءة كما تقدم، وأن يحدد مواطن الشاهد في الآية التي يتكلم عنها ويضع الحركات على حروف الكلمة المقروءة، ولابد أن يأخذ معلوماته من مظانها الأصلية وأقصد كتب القراءات؛ لأنها الأوفى والأجدر في تقديم هذا العلم ولعل من المفيد أن أذكر بعضها لتكون عون الباحث فيما يقدم من عمل وهي:

١. الحجة في القراءات السبع لابن خالويه (ت ٣٧٠هـ).
٢. الكشف في وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي أبو طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ).
٣. التيسير في القراءات السبع للداني (ت ٤٤٤هـ).
٤. النشر في القراءات العشر للجزري (ت ٨٣٣هـ).
٥. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشرة للدمياطي (ت ١١١٧هـ).

وغيرها كثير على الباحث مراجعتها والإفادة منها.

المبحث الخامس

الإعراب

لا يخفى أن جانب الإعراب يعد من أهم الجوانب التي يجب على المفسر أن يلاحظه ؛ لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف موقع الكلمة فالإعراب هو (الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى إنك إذا سمعت:

- أكرم سعيد أباه
- وشكر سعيدا أبوه.

علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل والمفعول فلو كان الكلام شرحا واحدا لاستبهم أحدهما من صاحبه)[1] وهذا يظهر لنا الأهمية الكبيرة للنحو والإعراب لأن المفسر يحتاج إلى معرفة إعراب القرآن (والوقوف على تصرف حركاته وسواكنه ليكون بذلك سالما من اللحن فيه مستعينا على أحكام اللفظ به مطلقا على المعاني التي تؤلف باختلاف الحركات)[2] فقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعليم الإعراب وذم اللحن فقال: (اعربوا القرآن والتمسوا غرائبه)[3] لأن بالإعراب نتصرف على هيئة الكلمة وصيغها ومحلها وهذا ما يدفع الباحث في التفسير إلى إنعام النظر وإدامة التفكير للكشف عن أسرار القرآن ودرره الكامنة في معاني ألفاظه التي لا يمكن إظهارها إلا أن يكون فارسا متمرسا في الإعراب[4]، ولأجل الوصول إلى أدق المعاني فعلى الباحث أن يلاحظ الأمور الآتية

---

(١) الخصائص ــ لابن جني: ٣٦/١.

(٢) مشكل إعراب القرآن وإعرابه ــ للزجاج: ٦٣/١.

(٣) مستدرك الحاكم: ٤٣٩/٢ ومجمع الزوائد ــ للهيثمي: ١٦٣/٧.

(٤) ينظر البرهان ــ للزركشي: ٣٠٢/١.

ليكون قادرا على إعراب آيات القرآن الكريم وتوجيهها توجيهاً يتلاءم مع المعنى المقصود من الآية:

١. على المفسر أن يفهم ما يريد أن يعربه مفرداً أو مركباً قبل الإعراب، فإنه فرع المعنى. ولهذا لا يجوز إعراب فواتح السور إذا قلنا بأنها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، ففي قوله سبحانه وتعالى: ﴿ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴾[١] إن أريد به الأسود من الجفاف واليبس فهو صفة لغثاء أو من شدة الخضرة فحال من المرعى.[٢]

٢. أن يراعي المفسر ما تقتضيه الصناعة النحوية، فربما راعى العرب وجهاً صحيحاً ولا ينظر في صحته في الصناعة النحوية فيخطئ ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴾[٣] إن (ثموداً) مفعول مقدم، وهذا ممتنع لأن لـ (ما) النافية الصدر، فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها، بل هو معطوف على (عاداً) أو على تقدير: واهلك ثموداً.[٤]

٣. على المفسر أن يتجنب لفظ الزائد في كتاب الله تعالى أو التكرار ولا يجوز إطلاقه إلا بتأويل كقولهم (الباء زائد) مرادهم إن الكلام لا يختل معناه بحذفها؛ لأنه لا فائدة فيه أصلاً فهذا لا يتحمل من متكلم فضلاً عن كلام الحكيم جل جلاله. وقد يكون زائداً من ناحية الإعراب ولكنه بلاغياً ليس كذلك، والقرآن بلاغة وليس نحواً.[٥]

---

(١) سورة الأعلى ــ الآية: ٥.

(٢) ينظر البرهان ــ للزركشي: ٣٠٢/١ والإتقان ــ للسيوطي: ٢٦٠/٢.

(٣) سورة النجم ــ الآية: ٥١.

(٤) ينظر البرهان ــ للزركشي: ٣٠٤/١-٣٠٥ والإتقان ــ للسيوطي: ٢٦١/٢-٢٦٢.

(٥) ينظر البرهان ــ للزركشي: ٣٠٥/١.

٤. على المفسر أن يتجنب التقادير البعيدة والمجازات المعقدة و لا يحق لمفسر ولا باحث أن يجوز في إعراب القرآن ما يجوزه النحاة في شعر الشعراء كقولهم في (اغفر لنا) و(اهدنا) فعلي دعاء أو سؤال ولا يقولون: فعلي أمر تأدبا من جهة أن الأمر يستلزم العلو والاستعلاء.(١)

وإلى جانب مراعاة الباحث إلى الأمور المتقدمة وغيرها عليه أن يقتصر على الكلمات التي تحتاج إلى إعراب لكونها تحتمل أكثر من موقع إعرابي، وهذا يعطي أكثر من معنى ليفهم المتطلع سر اختيار الكلمات ومواقعها، وعليه أن يبتعد عن إعراب كل كلمة وردت في النص لأن ذلك غير مطلوب في هذا المنهج التحليلي، وعلى الباحث أن يرجع إلى كتب الإعراب المعتمدة ليأخذ فادته من نبعها الصافي ولعل من المفيد أن أذكر بعض المصادر الإعرابية التي تفيد الباحث وهي:

١. إعراب مشكل القرآن للقيسي: ت (٤٣٧ هـ)
٢. البيان في غريب إعراب القرآن للأنباري ت (٥٧٧هـ)
٣. التبيان في إعراب القرآن للزجاج ت (٦١٦ هـ)
٤. التبيان في إعراب القرآن للعكبري ت (٦١٦ هـ)
٥. الفريد في إعراب القرآن المجيد :ت (٦٤٣ هـ)

وغيرها كثير يمكن للباحث مراجعتها والإفادة منها.

---

(١) ينظر البرهان ـ للزركشي: ٣٠٦/١.

المبحث السادس

القضايا البلاغية

لابد لمن يريد أن يفهم النص القرآني أن يجعل من عدته الاستعانة بعلوم البلاغة التي بواسطتها تعرف أساليب الكلام ومراميه ويدرك سر الإعجاز القرآني وحسن نظمه وعجائب لطائفه وبدائع حكمه ومحاسن عباراته ودقة استعمال ألفاظه، لأن علوم البلاغة من أعظم الأركان التي يعتمدها التفسير؛ لأنه يعرف:

- بعلم المعاني خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى.
- وبعلم البيان تعرف خواص تراكيب الكلام من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها.
- وبعلم البديع تعرف وجوه تحسين الكلام.(١)

ولذلك جعل الزمخشري علمي البيان والمعاني من العلوم المختصة بالقرآن الكريم والتي لا يمكن الكشف عن معانيها والتعرف على اختلاف وضوح الدلالة وخفائها (إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن الكريم هما علم المعاني وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما أونة وتعب في التنقير عنها أزمنة)(٢) وهذا الاهتمام بعلوم البلاغة يوحي للباحث أن تلك العلوم تنمي الذوق؛ لأن الكلام: لا يدرك إلا بالذوق، وليس كل من اشتغل بالنحو واللغة والفقه يكون من أهل الذوق وممن يصلح لانتقاد الكلام، وإنما أهل الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان، وراضوا أنفسهم بالرسائل والخطب والكتابة وصارت لهم بذلك درية وملكة ثابتة، فإلى أولئك ينبغي أن يرجع في معرفة الكلام وفضل بعضه على بعض)(٣)؛ ولأجل

---

(١) ينظر الإتقان ــ للزركشي: ٤/١٧٤.

(٢) مقدمة الكشاف ــ للزمخشري.

(٣) الإتقان ــ للسيوطي: ٤/١٧٤.

ذلك فقد سعى القرآن على تحبيب الفصاحة للإنسان لكونها عمدة التفسير وواسطة عقد البلاغة يقول سبحانه: ﴿الرَّحْمَٰنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[1] فالنص يفيد أن تعلم البيان يعدل خلق الإنسان وهذا الأمر يشير إلى قوة الفهم وإدراكه الثاقب لما يراد منه ليتمكن بواسطة ذلك الإتباع الواعي والتصديق وخضوع النفس مما ينتج الطاعة الحقيقية التي يبينها ذلك الفهم الواعي للنصوص القرآنية.[2]

ومن هذا المنطلق لابد للباحث في التفسير أن يجعل من جملة عدته كتب البلاغة التي تفتح للدارس رحابا واسعة وتضع له معالم هداية توصله إلى أدق المعاني وتضع بين يديه صورا جميلة وتكشف له لطائف بديعة وهذا ما يزيد التفسير وضوحا وبيانا للمراد، وعلى الباحث أن يقف متأملا ليقتنص القضية البلاغية عن فهم ووعي ويحدد موقع تلك القضية سواء أكانت بلفظ أو جملة ويفصح عن ذلك إفصاحا يفهم القارئ سر استعمال هذا الأسلوب الجميل مما يثير اهتمام القارئ بعظمة القرآن مما يزيد الإيمان وربما يكون سببا للهداية، فعلى سبيل المثال لا الحصر قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾[3] في النص تقديم وتأخير حيث قدم الجار والمجرور في قوله (من آل فرعون) على قوله تعالى (يكتم إيمانه)؛ لأنه لو أخره لتوهم أن (من) متعلقة بـ (يكتم) أي يكتم إيمانه خوفا من آل فرعون، وفي هذا إخلال بالمعنى المراد، حيث لا يفهم منه حينئذ أن الرجل من آل فرعون، بينما الغرض من السياق بيان أنه منهم؛ لأن في ذلك تأكيد

(١) سورة الرحمن ــ الآيات: ١-٤.

(٢) ينظر البرهان ــ للزركشي: ١/٢١٢.

(٣) سورة غافر ــ الآية: ٢٨.

لمراد الله سبحانه، بموسى (عليه السلام) حيث جعل من آل فرعون من يدافع عنه، وعليه فسبب تقديم الجار والمجرور في الآية أن في تأخيره إخلال بيان المعنى المراد.(١) وعلى الباحث أن يحدد مواطن الشاهد البلاغي ففي قوله سبحانه: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾(٢) ففي الآية قضايا بلاغية جليلة تمثلت بالآتي:

١. وقع طباق بين كلمتي (الضحك والبكاء) وبين كلمتي (قليل وكثير) فهو مقابلة كذلك.

٢. في الآية إخراج الخبر مخرج الإنشاء؛ لأن معناه فسيضحكون قليلا وسيبكون كثيرا، ولكنه أخرج الخبر مخرج الأمر، للدلالة على أنه أمر حتمي لابد منه.(٣)

وهنا يجب أن أنبه الباحث بالعودة إلى كتب البلاغة المعتمدة في هذه الخطوة من التحليل والاعتماد عليها؛ لأنها المؤئل لهذا العلم فلا يقدم عليها غيرها ولأجل إتمام الفائدة أذكر بعض مصادر هذا العلم وهي:

١. أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ت (٤٧٤ هـ)
٢. أساس البلاغة لجار الله الزمخشري ت (٥٣٨ هـ)
٣. الكشاف لجار الله الزمخشري ت (٥٣٨ هـ)
٤. البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن لابن الزملكاني ت (٦٥١ هـ)
٥. الإيضاح للخطيب القزويني ت (٧٣٩ هـ)

وهناك كتب كثيرة قديمة وحديثة يمكن للباحث مراجعتها والإفادة منها.

---

(١) ينظر الإيضاح ــ للقزويني: ١١٤/١ وأسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن ــ لمحمود السيد شيحون: ١١٢.

(٢) سورة التوبة ــ الآية: ٨٢.

(٣) إعراب القرآن الكريم وبيانه ــ للدرويش: ٢٥٣/٣.

المبحث السابع

المعنى العام

بعد أن يدرس الباحث الخطوات التحليلية للنص يتمخض له معنى عاما يوضح فيه إجمال المعنى الذي يفصح ببيانه عن المراد، ومعروف أن النص القرآني قد يحمل توجيها أو أكثر فقد يكون التوجيه حكما عقائديا أو اجتماعيا أو اقتصاديا أو علميا فعلى الباحث أن يركز عليه ويربطه بما يناسبه من جوانب الحياة المتعددة وبذلك يربط بين الأصالة بكيانه وجوارحه مع النص ، فيحصل التأثير الفعلي الذي يغير من حال إلى حال وهذا مطلوب النص. وعلى الباحث أن يستعمل التفسيرين: التفسير المأثور والتفسير بالرأي مع الحرص الشديد بانتقاء ما توافرت أدلة صحته وقبوله ورد ما عداه[1] بالأدلة المقنعة وهذا ما يظهر شخصية الباحث الإيجابية في بحثه؛ لأنه يدل على بعد نظر وثاقب فهم وسعة تفكير، وهذا هو المطلوب من الباحث أن يكون له مشاركة فعالة في الإيضاح والترجيح والموافقة والرد وتسلسل المعلومات وترابطها ليدل بذلك على معايشته للبحث واستيعابه له، وهذا هو المراد؛ لأن سلبية الباحث مرفوضة في البحث حيث يكون مجرد جامع للمادة وعارض لها، فجموده بهذا الشكل ولاسيما الأطاريح الجامعية التي يجب أن يحمل في ثناياها ما يضاف إلى الساحة العلمية من جديد، وعلى الباحث أن يراجع التفاسير القديمة والحديثة لكي لا يفوته شيء يساعد على إظهار المعنى العام بوضوح، وليستثمر ذلك في تحرير العقول من قيود الجهل والأوهام، ويشق شرنقة الجمود الفكري؛ لأنه متى حرر العقل فسوف ينطلق الفكر ويهذب السلوك ويقضي على الخرافات ويحدث انقلابا جذريا فيرفق بين نوازع الروح وغرائز الجسد مما

---

(١) ينظر التبيان في علوم القرآن ــ للصابوني: ٧١.

يجعل الإنسان متوازنا في حياته وهذا هو الهدف الأسمى من دراستنا القرآنية.[1] وعلى الباحث تجنب التكرار وذلك بجمع الأقوال التي تصب في موضوع واحد والإشارة إلى مظانها في الهامش، وأن يجعل من أسلوبه العلمي عامل تشويق لمواصلة القراءة، ويبتعد عن الأساليب الإنشائية التي تبعد عن الهدف، وأن يسعى إلى إيصال المعلومة بأقصر العبارات مع ما تحمله من طرق لتنبه القارئ والسامع وتجعله أكثر قبولا، وأن يجعل المعنى العام مركزا بحيث لا يكون طويلا مملا ولا قصيرا مخلا، وهذه الخطوة تعد ساحة تكشف مدى قابلية الباحث في الاختيار وحسن عرض المادة ومناقشتها وانتقاء الأدلة وتهذيب الرد، وهذا يحتاج من الباحث أن يراجع مصادر تفسيرية كثيرة ولأجل إتمام الفائدة أذكر نماذج من كتب التفسير لتكون عونا للباحث ومنها ما يأتي:-

١. جامع البيان للطبري ت (٣١٠هـ).
٢. أحكام القرآن للجصاص ت (٣٧٠هـ).
٣. التبيان في تفسير القرآن للطوسي ت (٤٦٠هـ).
٤. لطائف الإشارات للقشيري ت (٤٦٥هـ).
٥. الكشاف للزمخشري ت (٥٣٨هـ).
٦. مجمع البيان للطوسي ت (٥٤٨هـ).
٧. التفسير الكبير للرازي ت (٦٠٦هـ).
٨. البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ت (٧٤٥هـ).
٩. التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ت (٧٥١هـ).
١٠. الجواهر في تفسير القرآن الكريم لطنطاوي جوهري ت (١٣٥٨هـ).
١١. في ظلال القرآن لسيد قطب ت(١٣٨٦هـ).

---

(١) ينظر موجز علوم القرآن ــ لداود العطار: ٧٢.

وهناك الكثير من التفاسير المتعددة المناهج يمكن للباحث الإفادة منها كل حسب منهجه وما يتطلبه البحث.

المبحث الثامن

ما يستفاد من النص

هذه الخطوة من أهم الخطوات في مجال الدراسة التفسيرية؛ لأنها تظهر سعة فكر الباحث ودقة ملاحظته وبعد نظره لكونه يصطاد الفوائد صيدا خلال دراسته لهذا النص أو ذاك؛ ولأجل أن تؤدي هذه الخطوة دورها الفاعل وعطاؤها المتجدد فعلى الباحث أن يسجل الفوائد كلما لاحت له بارقة تشير إليها لكي لا ينساها في خضم البحث وزحمته، فيعود إليها بوقتها ويصوغها كما يريد، وأن لا يكون الباحث عالة على غيره فيما يستنبط من فوائد، فيجب عليه أن يعصر خلده ويركز فكره بإدامة تفكيره وثاقب بصيرته ليصل لمراده، وبذلك سيقدم شيئا ذا بال يعتز به ويسجل باسمه لأن القرآن الكريم معروض على الأجيال فكلما جاء جيل جاد بالجديد لأن علومه لا تنفد ودرره تحتاج إلى غواص ماهر وجهد كبير للفوز بها، هذا وإن أهم شيء يجب على الباحث أن يقوم به لكي يصل إلى مبتغاه هو أن يعيش بجو النص القرآني؛ لأنه يولد ثورة داخلية في العقل والنفس فيحدث التأثير الذي يولد معه فوائد يعيشها الإنسان وهو تحت ذلك التأثير. وهذا لا يحدث إلا بالقراءة الواعية للنص مرات وفتح العقل ودعوته لسبر قاع النص بتأمل واع وإدامة تفكير؛ ليخرج بنوال مفيد وتوجيه نافع وتذكير يحفز الهمم وترغيب يدفع إلى العمل المخلص الجاد، وترهيب يدفع إلى الإقلاع عما هو ضار ويمنع الوقوع في الخطأ ويحرر النفس من عبودية الشهوات تصفو وبصفائها تصفو المشارب وتتهمر الفوائد.

هذا ويمكن للباحث أن يضيف إلى خطوات التحليل خطوة أو أكثر تستوجبها الدراسة فقد تضاف مسألة فقهية أو علمية أو اجتماعية أو حضارية أو ثقافية أو أي شيء يضفي على الدراسة بيانا وسعة إيضاح كالدلالات اللغوية والسياقية والصوتية والناسخ والمنسوخ والمعاني الإشارية والوقائع التاريخية وغيرها.

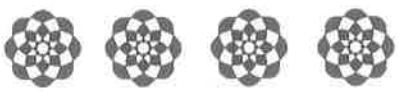

الفصل الرابع

تحليل سورة النصر

ويشتمل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: نظرة عامة على سورة النصر

المبحث الثاني: الدراسة التحليلية

الفصل الرابع

تحليل سورة النصر

اخترت سورة النصر لتكون أنموذجا تطبيقيا لخطوات المنهج التحليلي لكونها قليلة المبنى كثيرة المعنى؛ ولأنها تحمل بشارة النصر ودخول الناس في دين الله أفواجا فأوجب ذلك التسبيح والاستغفار اعترافا بالفضل الذي يتناسب مع عظم التأييد وإزالة الخوف وخواطر النفس وقت الشدائد والأزمات؛ لكي لا تقل غربا ولا تهز مشاعر ولا تقلل عبادة المخلصين؛ لأن الإنسان كثير بأخيه جمعهم صدق وألف بين قلوبهم إخلاص ففاض الود وتلاشت الشدائد فتحقق النصر وحصل الفتح، وهذا نص سورة النصر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾

وفيما يأتي دراسة تحليلية للسورة المباركة في المباحث الآتية:

المبحث الأول

نظرة عامة على السورة

سأركز في نظرتي العامة على الآتي:

١. اسم السورة وعدد آياتها وكلماتها وحروفها.
٢. مكان نزول سورة النصر.
٣. ترتيب السورة من حيث النزول والمصحف الشريف.
٤. مقاصد السورة والوحدة الموضوعية فيها.
٥. محور السورة البياني والمناسبة بين الآيات.
٦. فضل سورة النصر.

وفيما يأتي بيان لما تقدم من محاور في المطالب الآتية:

المطلب الأول

اسم السورة وعدد آياتها وكلماتها وحروفها

لسورة النصر أربع تسميات هي:

١. **سورة إذا جاء نصر الله والفتح**[١]: وسميت بهذا الاسم لقوله جل ثناؤه في أولها ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾[٢] ولما ورد عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: (ثم ما صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة بعد أن نزلت عليه إذا جاء نصر الله والفتح إلا يقول فيها سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي)[٣].

---

(١) ينظر إعراب القرآن ــ للنحاس: ٣٠٣/٥ وروح المعاني ــ للآلوسي: ٢٥٥/٣٠.
(٢) سورة النصر ــ الآية: ١.
(٣) صحيح البخاري: ١٩٠٠/٤.

٢. سورة **النصر**[١]: سميت به السورة لورود ذكر ﴿نَصْرُ ٱللَّهِ﴾[٢] **فيها** وهذا ما ذكرته المصاحف[٣] **وأكثر** التفاسير فحملت اسم النصر المعهود عهدا ذكريا.[٤]

٣. سورة **الفتح**[٥]: وسمت بهذه التسمية لوقوع لفظ (**الفتح**) **فيها**، وعليه فإن هذا الاسم يعد اسما مشتركا بينها وبين سورة الفتح.[٦]

٤. سورة **التوديع**[٧]: سميت بهذه التسمية لما فيها من بيان لنعي المصطفى صلى الله عليه وسلم، ودنو أجله ودلالة توديعه للدنيا وهذه التسمية اشتهرت

---

(١) ينظر جامع البيان في تفسير القرآن ـ للطبري: ٢١٤/٣٠ والكشاف ـ للزمخشري: ٢٩٣/٤ والتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ـ للرازي: ١٤٩/٣.

(٢) سورة النصر ـ من الآية: ١.

(٣) ينظر نسخة مصحف المدينة المنورة ـ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤٠٦هـ: ٦٠٣.

ونسخة مصحف ديوان الوقف السني ـ مطبعة أنوار دجلة ـ بغداد ١٤٢٧هـ: ٦٠٣.

ونسخة مصحف دار علوم القرآن ـ دمشق ـ الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ: ٦٠٣.

(٤) ينظر تفسير ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ـ للفيروز آبادي: ٥٥٠/١ والتحرير والتنوير ـ لابن عاشور: ٥٨٧/٣٠.

(٥) ينظر معاني القرآن ـ للفراء: ٢٩٧/٣ وإعراب ثلاثين سورة من القرآن ـ لابن خالويه: ٢٣٢.

(٦) ينظر التحرير والتنوير ـ لابن عاشور: ٥٨٧/٣٠.

(٧) ينظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن العظيم ـ لأبي السعود العمادي: ٢٠٩/٩ والجواهر في تفسير القرآن الكريم: ٢٧٧/٢٥ والتحرير والتنوير ـ لابن عاشور: ٥٨٧/٣٠ والتفسير الحديث ـ لدروزة: ٢٥٤/١٢ و٢٥٦.

بين الصحابة (رضي الله عنهم).[١]

ولا خلاف في عدد آياتها[٢]، فآيها (ثلاث آيات) باتفاق أقوال المفسرين.[٣]

أما عدد كلمات السورة فتباينت أعدادها على أقوال متعددة فقيل عددها:

١. ست عشرة كلمة.[٤]

٢. سبع عشرة كلمة.[٥]

٣. ثلاث وعشرون كلمة.[٦]

٤. ست وعشرون كلمة.[٧]

٥. تسع وعشرون كلمة.[٨]

أما عدد حروف سورة النصر فقد وردت أقوال متعددة فقيل عددها:

١. أربعة وسبعون حرفا.[٩]

---

(١) ينظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل ــ للبيضاوي: ٥٩٧/٦ والتحرير والتنوير ــ لابن عاشور: ٥٨٧/٣٠ و٥٩٥ ومجمع البيان في تفسير القرآن ــ للطبرسي: ٢١٣/٣٠ والسراج المنير ــ للشربيني: ٦٠٠/٤ و٦٠٤.

(٢) ينظر حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٤٠٦/٨.

(٣) ينظر روح المعاني ــ للألوسي: ٢٥٥/٣٠ والتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ــ للرازي: ١٤٩/٣٢ والبحر المحيط ــ لأبي حيان: ٢٥٣/٨ ومجمع البيان ــ للطبرسي: ٢١١/٣٠.

(٤) السراج المنير ــ للشربيني: ٦٠٠/٤.

(٥) لباب التأويل في معاني التنزيل ــ للخازن: ٥٨٨/٦.

(٦) تنوير المقباس في تفسير ابن عباس ــ للفيروز آبادي: ٥٨٨/٦.

(٧) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ــ للفيروز آبادي: ٥٥٠/١ والتفسير القرآني للقرآن ــ لعبد الكريم الخطيب: ١٦٩٨/٣٠.

(٨) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ــ للنيسابوري: ٢٠٥/٣٠.

(٩) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ــ للفيروز آبادي: ٥٥٠/١ والتفسير القرآني للقرآن ــ لعبد الكريم الخطيب: ١٦٩٨/٣٠ وإعراب القرآن ــ للكرباسي: ٧١٤/٨.

٢. سبعة وسبعون حرفا.[١]

٣. تسعة وسبعون حرفا.[٢]

٤. تسعة وتسعون حرفا.[٣]

وعليه فهذا التباين في أعداد الكلمات والحروف حمل طالبنا النجيب (قتيبة الراوي) إلى عد الكلمات والحروف في الحاسوب فتبين له أن عدد كلماتها (تسع عشرة كلمة) دون البسملة وعدد حروفها (ثمانون حرفا) دون المكرر، ولعل هذا التباين يعود إلى رسم المصاحف المعتمدة لكل رأي[٤]، ونضيف إلى أن النص ثابت لا يتغير لأنه ينقل شفاها وهو محفوظ في الصدور والسطور ويتلقى بأدق طرق التلقي تواترا واطمئناننا يزداد بقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[٥].

المطلب الثاني

مكان نزول سورة النصر

إن لمعرفة مكان نزول الآيات والسور فوائد جمة أهمها، تذوق أساليب القرآن فلا يخفى فإن لكل مقام مقالاً، ومراعاة مقتضى الحال يعد من أخص المعاني البلاغية، كما يساعد على تفسير النص تفسيراً صحيحاً لا بل يعيننا على تمييز الناسخ والمنسوخ ويظهر لنا بوضوح السيرة النبوية بعهديها المكي والمدني.[٦]

---

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل ــ للخازن: ٦/٥٨٨.

(٢) السراج المنير ــ للشربيني: ٤/٦٠٠.

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ــ للنيسابوري: ٣٠/٢٠٥.

(٤) ينظر سورة النصر دراسة وتحليل بحث تكميلي (الماجستير): ٢٠.

(٥) سورة الحجر ــ الآية: ٩.

(٦) ينظر مباحث في علوم القرآن ــ لمناع القطان: ٥٩-٦٠.

وعليه فإن سورة النصر من السور المدنية المحكمة على القول الراجح.[1] بدليل مدنيتها ما يأتي:

١/ ما رواه ابن جرير الطبري عن عطاء بن يسار أنه قال: (نزلت سورة إذا جاء نصر الله والفتح كلها في المدينة بعد فتح مكة ودخول الناس في الدين ينعى إليه نفسه).[2]

٢/ روى البيهقي في دلائل النبوة عن عكرمة والحسن ابن أبي الحسن قالا: ما نزل بالمدينة فذكرا سورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾[3] من بينها.[4]

ومدنية السورة يكاد يجمع عليه المفسرون.[5] أما القول بأنها مكية فلا دليل عليه.[6]

---

(١) ينظر الناسخ والمنسوخ ــ للسدوسي: ٥٢ والناسخ والمنسوخ ــ للمرادي: ٧٧٦ والناسخ والمنسوخ ــ لهبة الله المقري: ٢٠٧ والتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ــ للرازي: ١٤٩/٣٢ والبحر المحيط ــ لأبي حيان الأندلسي: ٥٢٢/٨-٥٢٣.

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن ــ للطبري: ٢١٦/٣٠ وينظر الدر المنثور ــ للسيوطي: ٤٠٦/٦.

(٣) سورة النصر ــ من الآية: ١.

(٤) ينظر دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ــ للبيهقي: ١٤٢/٧ والإتقان في علوم القرآن ــ للسيوطي: ١٠/١.

(٥) ينظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل ــ للبيضاوي: ٥٨٨/٦ ومدارك التنزيل وحقائق التأويل ــ للنسفي: ٥٨٨/٦ والكشاف ــ للزمخشري: ٢٩٣/٤ وتفسير القرآن العظيم ــ لابن كثير: ٥٦١/٤ وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ــ لأبي السعود العمادي: ٢٠٨/٩ وتنوير الأذهان من تفسير روح البيان ــ للبروسوي: ٦٠٦/٤ ومجمع البيان ــ للطبرسي: ٢١١/٣٠.

(٦) ينظر غرائب القرآن ورغائب الفرقان ــ للنيسابوري: ٢٠٥/٣٠ وتنوير المقباس في تفسير ابن عباس ــ للفيروز آبادي: ٥٨٨/٦ والتفسير الحديث ــ لدروزه: ٢٥٣/١٢.

المطلب الثالث

ترتيب سورة النصر من حيث النزول والمصحف الشريف

ورد في ترتيب نزول السورة قولان هما:

القول الأول: ما روي عن ابن عباس (رضي الله عنه) أنه قال: آخر سورة نزلت من القرآن جميعاً (إذا جاء نصر الله والفتح)[1] فهي على هذا القول أنها نزلت في أيام التشريق بمنى في حجة الوداع، فيكون نزولها بعد سورة التوبة، فهي آخر السور المدنية نزولاً، وهذا لا يعني أن لا يكون قد نزل بعدها قرآن، ولكن بين أنه لم تنزل سورة جديدة بعدها، وإلا فيحتمل نزول عدد من الآيات ألحقت بسور أخرى بأمر من الرسول صلى الله عليه وسلم.[2] وعلى هذا الرأي يكون ترتيبها الـ (١١٤) الرابعة عشرة بعد المائة في ترتيب نزولها من السور القرآنية.[3]

القول الثاني: أنها نزلت بعد سورة الحشر وقبل سورة النور، وهذا القول على رواية أنها نزلت عقب غزوة خيبر قبل فتح مكة، وعلى هذا القول يكون ترتيبها الـ (١٠٣) الثلاث بعد المائة من ترتيب نزول السور.[4]

وعليه فإن إجماع المفسرين يكاد ينعقد على أن السورة كانت من أواخر ما نزل من القرآن، حيث بينت الروايات أن الرسول صلى الله عليه وسلم انتقل إلى الرفيق الأعلى بعد ثمانين يوماً من نزولها على الأرجح، والروايات المنقولة في

---

(١) مصنف أبي شيبة: ٢٦٠/٧ وصحيح مسلم: ٢٣١٨/٤.

(٢) التفسير الحديث ــ لدروزه: ٢٥٢/١٢-٢٥٤ والجواهر في تفسير القرآن ــ لطنطاوي جوهري: ٢٧٧/٢٥ ومواهب الرحمن في تفسير القرآن ــ لعبد الكريم المدرس: ٥٧٣/٧ وتفسير المراغي: ٢٥٧/٣٠ وكتاب التسهيل لعلوم التنزيل ــ للكلبي: ٢٢١/٤.

(٣) ينظر التحرير والتنوير ــ لابن عباس: ٥٨٩/٣٠ والتفسير الحديث ــ لدروزه: ٢٥٣/١٢.

(٤) ينظر تنزيل القرآن ــ للزهري: ٣٠ والإتقان في علوم القرآن ــ للسيوطي: ١٠/١.

تاريخ نزولها لم تظهر لنا ما يرجح أحدها من بين الروايات؛ لأنه لا يمكن جمع تلك الروايات، فأكثرها غير مرفوع بل يغلب عليه الاجتهاد فأخبر أصحاب الروايات بما سمعه من النبي قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى.(١)

وأما تسلسلها في المصحف العثماني فتأتي بالتسلسل العشر بعد المائة من ترتيب المصحف الشريف.(٢)

المطلب الرابع

مقاصد السورة والوحدة الموضوعية فيها

لسورة النصر مقاصد عظيمة، وأغراض سامية، ولعل أهمها: الإعلام بكمال الدين اللازم لمدلول اسمها النصر، واللازم عنه انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى؛ لأنه لم يرسل إلا لإعلاء كلمة الله ولما تم ذلك حان وقت التوديع.(٣)

أما الوعد بالنصر فقد جاء مرتبطاً بلفظ الجلالة ﴿نَصْرُ اللَّهِ﴾(٤) فالإضافة تعني التمام والكمال، والأسلوب مشعر بالنصر كل النصر أو بتمام النصر لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي تمخض عنه فتح مكة، الذي رافقه فتح قلوب الناس ودخولهم في دين الله أفواجا فارتفعت راية الإسلام، واضمحل الكفر وتلاشى الشرك

---

(١) ينظر الإتقان في علوم القرآن ــ للسيوطي: ١/٢٦-٢٧.

(٢) تنظر نسخة مصحف المدينة المنورة / مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ــ ١٤٠٦هـ: ٦٠٣. ونسخة مصحف ديوان الوقف السني ــ مطبعة أنوار دجلة بغداد ــ ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م: ٦٠٣. ونسخة مصحف دار علوم القرآن ــ دمشق ــ الطبعة الثانية ــ ١٤٠٥هـ: ٦٠٣.

(٣) ينظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ــ للبقاعي: ٨/٥٥٩.

(٤) سورة النصر ــ من الآية: ١.

والضلال، فوقوع ذلك دل على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأن السورة أخبرت بذلك قبل وقوعه فكان من إعجازات الأخبار المستقبلية.(١)

هذا وإن ذكر النصر مضافا إلى الله تعالى ومجيء الفتح مطلقاً؛ لأن النصر حق من الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾(٢) ودليل ذلك تطلع الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون لذلك كما قال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾(٣) فيأتيهم الجواب بقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾(٤)

أما الفتح فقد جاء مطلقاً والذي يشير إلى انتشار الإسلام ولعل أعظم الفتح فتحان:

١. فتح الحديبية.
٢. فتح مكة.

فالفتح الأول كان تمهيداً للفتح الثاني الذي قضى على الشرك في الجزيرة وأشار إلى إرادة العموم في النصر والفتح، بدليل دخول الناس في الدين جماعات ومن كل الجهات وهذا يدلل على كمال الرسالة ونجاحها.(٥)

---

(١) ينظر في ظلال القرآن ــ لسيد قطب: ٦/٣٩٩٤ والنظم الفني في القرآن ــ لعبد المتعال الصعيدي: ٣٧٠.

(٢) سورة آل عمران ــ من الآية: ١٢٦.

(٣) سورة البقرة ــ من الآية: ٢١٤.

(٤) سورة البقرة ــ من الآية: ٢١٤.

(٥) ينظر تتمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ــ للشنقيطي: ٩/٥٩٠-٥٩١.

أما الغرض الآخر فإن الأمر بالاستغفار مع التسبيح فهو تكميل للأمر؛ لأنه يجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية، وأمره صلى الله عليه وسلم بالاستغفار مع عصمته يكون لطفاً لأمته، لأن الاستغفار من التواضع لله سبحانه وتعالى وتهذيب النفس وحملها على المكارم الحميدة.[1] فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (إني لأستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة)[2] وهو الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر لكنه يريد أن يكون عبداً شكوراً، إذا علينا أن نستغفر أكثر من ذلك ونحن المحتاجون للاستغفار أكثر منه صلى الله عليه وسلم، والاستغفار عبادة، لا يلزم منه وجود ذنب منه صلى الله عليه وسلم، بل هو تعليم لأمته، أو لرفع درجته صلى الله عليه وسلم.[3]

أما التوبة فهي دعوة الرسل عليهم السلام فهذه قصة سيدنا آدم (عليه السلام) التي جاء فيها: ﴿ فَتَلَقَّىٰ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[4] ثم نوح (عليه السلام) جاء على لسانه: ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[5] وهذا سيدنا إبراهيم يدعو ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[6] وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه أمر الاستغفار ليتم الغفران من التواب الرحيم ويأتي المقصد الكبير هو النعي الذي تحمله السورة لدنو

---

(١) ينظر الكشاف ــ للزمخشري: ٢٩٤/٤ والبحر المحيط ــ لأبي حيان: ٥٢٤/٨.

(٢) السنن الكبرى ــ للنسائي: ١١٧/٦.

(٣) ينظر تتمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ــ للشنقيطي: ٥٩٦/٩

(٤) سورة البقرة ــ الآية: ٣٧.

(٥) سورة نوح ــ من الآية: ٢٨.

(٦) سورة البقرة ــ من الآية: ١٢٨.

أجله بعد أداء الأمانة وتبليغ الرسالة فتم له النصر والفتح ودخول الناس في الدين جماعات جماعات، فما عليك إذن إلا أن تسبح بحمد ربك وتستغفره على ما تحقق لك.[1]

المطلب الخامس

محور السورة البياني والمناسبة بين الآيات

سورة النصر سجلت أدباً إسلامياً رفيعاً لم يسمع بمثله في التاريخ قديماً وحديثاً، ولم يسبق له مثيل في سير العظماء، والحكمة التي نستشفها من السورة أن القائد المنتصر على عدوه عليه أن يستغفر ليثبت بذلك أن النصر تم بفضل الله وحده، وفيه إقرار أيضاً أن القائد لا يخلو من الهفوات الذي تحتاج إلى الاستغفار وهذا ما يدعوه إلى التواضع بدل التباهي.[2] والذي يديم التفكير في السورة يجد أن مطلعها يوحي للقارئ إنشاء تصور أن ما يجري من سنن كونية هو من فعل الله جل وعلا في الوقت الذي يقدره وعلى الصورة التي يريدها والغاية التي يرسمها وليس للنبي صلى الله عليه وسلم أو لصحابته (رضي الله عنهم) يد في ذلك، وإنما يجريه الله سبحانه على أيديهم فهم له حرس وعليه أمناء وهذا خطهم مما جاءت به السورة من نصر وفتح ودخول.[3] وهذا الإيحاء يحدد لنا مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه تجاه تكريم الله لهم وما تحقق على أيديهم فكان لابد أن يتجهوا إلى الله بالتسبيح والتحميد والاستغفار في لحظة الانتصار.[4]

---

(١) ينظر بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ــ للفيروز آبادي: ١/٥٥٠.

(٢) ينظر كشوف جديدة في إعجاز القرآن الكريم ــ للقلقيلي: ٧٧.

(٣) ينظر في ظلال القرآن الكريم ــ لسيد قطب: ٦/٣٩٩٦.

(٤) المصدر نفسه: ٦/٣٩٩٦ وكشوف جديدة في إعجاز القرآن الكريم ــ للقلقيلي: ٧٧-٧٨.

وهذا يدلل على أن القائد يتبرأ من حوله وقوته ويلتجأ إلى حول الله وقوته فيكون بذلك بعيداً عن الضلال فيقع ذلك التسبيح موقعه.(١) والسورة قرنت التسبيح بحمد الله وهذا ارتباط لطيف بأول السورة وموضوعها ففيه دلالة على كمال مهمة الرسالة وانتصارها.(٢)

أما الاستغفار فيمحو عن القلب زهوه، وعن النفس ظنها وتقصيرها ويزيل معالم الغرور والكبرياء والفرح ويبعد الشعور الإنساني أنه ليس له فضل في تحقيق النصر فالفضل كله لله.(٣) ولذلك في موقف نشوة الانتصار نسي رسول الله فرحته فانحنى انحناء شكر فسبح بحمد ربه واستغفره كما طلب منه.(٤)

هذا وإن المعاني السامية في السورة الكريمة تترابط ترابطاً وثيقاً بمنظومة هندسية عجيبة توحي للمتأمل بتناظر شطريها وكأنها نسيج موحد كما يظهر مما يأتي:

محور السورة (الفتح) يرافقه أمران هما (مفتاح) قبله و(دخول) بعده،

ففي الشطر الأول من السورة قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾(٥) يتضمن العناصر الثلاثة المتقدمة وهي:

١/ المفتاح وهو (نصر الله) والذي لا يتم الفتح إلا به، وهذا المفتاح بيد الله سبحانه وتعالى لا يملكه غيره.

---

(١) ينظر نظر الدرر في تناسب الآيات والسور ــ للبقاعي: ٥٦١/٨.

(٢) ينظر نتمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ــ للشنقيطي: ٥٩٥/٩.

(٣) ينظر في ظلال القرآن ــ لسيد قطب: ٣٩٩٦/٦-٣٩٩٧ وكشوف جديدة في إعجاز القرآن الكريم ــ للقلقيلي: ٧٨.

(٤) ينظر في ظلال القرآن ــ لسيد قطب: ٣٩٩٧/٦-٣٩٩٨.

(٥) سورة النصر ــ الآية: ١-٢.

٢/ الفتح والمراد به فتح مكة المكرمة للجيش الإسلامي بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم.

٣/ الدخول ومعناه دخول الرسول وجيشه مكة المكرمة ودخول قريش والقبائل العربية الأخرى الإسلام.(١)

أما الشطر الثاني فهو قوله سبحانه: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾(٢) فيتضمن العناصر الثلاثة التي تقابل ما تضمنه الشطر الأول وهي:

١. المفتاح: وهنا يعني التسبيح والحمد والاستغفار الذي لابد منه لإتمام الفتح.
٢. الفتح: يشير به في هذا المقطع إلى انفتاح القلب أمام أنوار الرحمة الإلهية بعد إزالة الحجب من الدخان والران وغيرها.
٣. الدخول ويقصد به دخول الأنوار الإلهية إلى القلب بعد إزالة الحجب، ودخول الإنسان إلى الجنة.(٣)

وعندما نجري مقابلة بين الشطرين يتبين لنا ما يأتي:

أ/ اشتراك شطري السورة بـ (المفتاح والفتح والدخول).(٤)

ب/ المفتاحان فيهما: (النصر والمغفرة) وكلاهما من لدن العزيز القدير.

فالنصر ينزله على من يشاء من عباده والمغفرة والتوبة يقبلها ممن يشاء من عباده. فالإنسان عندما يطلب المغفرة من الله يقبلها سبحانه بفضل منه إن شاء لأنه القادر

---

(١) ينظر كشوف جديدة في إعجاز القرآن الكريم ـ للقلقيلي: ٧٩.
(٢) سورة النصر ـ الآية: ٣.
(٣) ينظر كشوف جديدة في إعجاز القرآن الكريم ـ للقلقيلي: ٨٢.
(٤) المصدر نفسه: ٨٣.

على ذلك وحده.[1]

ج/ المغفرة هي نصر أيضاً وهذا من أروع الترابط بين شطري السورة.

فالمغفرة هي نصر الإنسان على نفسه.

والنصر هو النصر على الأعداء.

فكأن السورة تقول: كما أن الله قد آتاك النصر على الأعداء فاطلب منه أن يؤتيك النصر على نفسك بالتوبة والاستغفار والتسبيح والحمد.[2]

وبهذا الفهم يتضح لنا أن سورة النصر فتح رباني، لأنها سلسلة من الأنوار المتدفقة، فنور الإسلام دخل مكة المكرمة فأشرقت بنور ربها بالنصر والفتح. ونور الرحمة الإلهية دخلت قلوب عباده ففاض عليها توبة وجنة فضلاً منه ومنّة.[3]

المطلب السادس

فضل سورة النصر

لا يخفى أن القرآن الكريم كله فضل، فلا مفاضلة بين سوره إلا ما ورد في فضل بعضها، ومنها سورة النصر فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أنها تعدل ربع القرآن فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه)، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه: هل تزوجت يا فلان؟ قال: لا، والله يا رسول الله ولا عندي ما أتزوج به، قال: أليس معك قل هو الله أحد؟، قال: بلى، قال: ثلث القرآن، قال: أليس معك إذا جاء نصر الله والفتح؟، قال: بلى، قال: ربع القرآن، قال: أليس معك قل يا أيها الكافرون؟، قال: بلى، قال: ربع القرآن، قال: أليس معك إذا زلزلت

---

(١) ينظر التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ــ للرازي: ١٥١/٣٢ و ١٦١-١٦٢.

(٢) المصدر نفسه: ١٤٩/٣٢-١٥٠ ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور ــ للبقاعي: ٥٦٣/٨.

(٣) ينظر كشوف جديدة في إعجاز القرآن الكريم ــ للقلقيلي: ٨٣.

الأرض؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن، قال: تزوج تزوج)[1] ومما يؤكد فضل السورة أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان كثير التسبيح والحمد والاستغفار وهو مقصود سورة النصر، فعن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت: ثم ما صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة بعد ان نزلت عليه إذا جاء نصر الله والفتح إلا ويقول فيها: سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي)[2] وفي رواية أخرى عنها (رضي الله عنها): ثم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول قبل أن يموت: سبحانك وبحمدك استغفرك وأتوب إليك، قالت: قلت يا رسول الله ما هذه الكلمات التي أراك أحدثتها تقولها، قال: جعلت لي علامة في أمتي إذا رأيتها قلتها إذا جاء نصر الله والفتح)[3] ولا تخفى على اللبيب فضل التسبيح الذي أمرت به السورة فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قوله: من قال سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة حطت من خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر)[4] زد على ما تقدم فإن قراءة القرآن ثوابها عظيم وسورة النصر كما علمنا أنها تعدل ربع القرآن ففي قراءتها فضل كبير فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين لنا منزلة قارئ القرآن في الجنة بقوله صلى الله عليه وسلم: يقال لصاحب القرآن يوم القيامة اقرأ وارتق ورتل، كما كنت ترتل في دار الدنيا فإن منزلتك آخر آية كنت تقرؤها)[5] وهذه دعوة كريمة للمسلمين إلى الإكثار من قراءة القرآن لما تحققه من منزلة لصاحبها يوم القيامة.

---

(١) سنن الترمذي: ١٦٦/٥ قال أبو عيسى هذا حديث حسن.

(٢) صحيح البخاري: ١٩٠٠/٤.

(٣) صحيح مسلم: ٣٥١/١.

(٤) صحيح البخاري: ٢٣٥٢/٥ وصحيح مسلم: ٢٠٧١/٤.

(٥) سنن الترمذي: ١٧٧/٥ قال أبو عيسى هذا حديث حسن.

المبحث الثاني

الدراسة التحليلية

لأجل الوقوف على المعنى الشمولي لسورة النصر فسأدرسها دراسة تحليلية وفق الخطوات العلمية للمنهج التحليلي التي سبق ذكرها وكما يأتي:

المطلب الأول

تحليل الكلمات

وردت في السورة بعض الكلمات التي تحتاج إلى معرفة أصولها واشتقاقها لنعرف معناها الحقيقي ضمن السياق القرآني وهي:

١/ قوله تعالى: ﴿نَصْرُ﴾[١].

النصرُ: العون وهو خلاف الخذلان، والاسم النصرةُ، ونصرَ المظلومَ نصراً ونصوراً: أعانه وفي الحديث: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)[٢] معناه: أن تمنعه من الظلم إن كان ظالماً وتعينه على ظالمه إن كان مظلوماً.[٣] والفاعل ناصر ونصير وجمعه أنصار، وتناصر القوم مناصرة: نصر بعضهم بعضاً.[٤]

والنصير: فعيل بمعنى فاعل أو مفعول، لأن كل واحد من المتناصرين ناصر ومنصور، وقد نصره ينصره نصراً، إذا أعانه على عدوه وشدّ منه.[٥]

---

(١) سورة النصر ــ من الآية: ١.

(٢) صحيح البخاري: ٨٦٣/٢.

(٣) ينظر العين ــ للفراهيدي: ١٠٨/٧ ومفردات ألفاظ القرآن ــ للراغب الأصفهاني: ٨٠٨ ولسان العرب ــ لابن منظور: ٢١٠/٥.

(٤) ينظر العين ــ للفراهيدي: ١٠٨/٧ وأساس البلاغة ــ للزمخشري: ٦٣٥.

(٥) ينظر لسان العرب ــ لابن منظور: ٢١٠/٥-٢١١.

٢/ قوله تعالى: ﴿ وَٱلْفَتْحُ ﴾[١].

الفتح: نقيض الاغلاق، فيقال: فتحه يفتحه فتحاً وفتحه فانفتح وتفتح، وفتحت الباب فتحاً خلاف أغلقته، وفتحته فانفتح: فرجته فانفرج، وباب مفتوح خلاف المردود والمقفل، وفتحت القناة فتحاً: فجرتها ليجري الماء فيسقى الزرع.[٢]

والفتح افتتاح دار الحرب، وجمعه فتوح، والفتح: النصر، والفُتاحة (بضم الفاء): الحكمُ وتعني الحكومة أيضاً، والفَتاحة (بفتح الفاء): النصرة، والفِتاحة (بكسر الفاء): أن تحكم بين قوم يختصمون إليك[٣]، وفتح الله على نبيه صلى الله عليه وسلم: نصره قال تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾[٤] هو صلح الحديبية الذي بسببه اتسعت دائرة الدعوة ودخل الكثير من الناس إلى الدين فصار فتحاً ظاهراً جلياً فحصل فيه إعزاز الدين وهذا هو مراد الفتح.[٥]

٣/ قوله تعالى: ﴿ يَدْخُلُونَ ﴾[٦].

الدخول: نقيض الخروج، يقال دخل يدخل دخولاً ومدخلاً وتدخل ودخل به، واندخل وادّخل كافتعل: نقيض خرج، وداخل الشيء: خلاف خارجه، ودخلت الدار ونحوها دخولاً: صرت داخلها فهي حاوية لك، والمَدخل (بفتح الميم): الدخول

---

(١) سورة النصر ــ من الآية: ١.

(٢) ينظر العين ــ للفراهيدي: ٣/١٩٤ والمصباح المنير ــ للفيومي: ٢/٤٦١.

(٣) ينظر العين ــ للفراهيدي: ٣/١٩٤ ولسان العرب ــ لابن منظور: ٢/٥٣٨-٥٣٩.

(٤) سورة الفتح ــ الآية: ١.

(٥) تفسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان ــ للسعدي: ٧٩١.

(٦) سورة النصر ــ من الآية: ٢.

وموضع الدخول أيضاً، والمُدخل (بضم الميم): الادّخال، والمفعول أيضاً من أدخل تقول: أدخله مُدخل صدق، والدَّخَل: ضد الخرج.(١)

٤/ قوله تعالى: ﴿ دِينِ ﴾(٢).

الدِّين: الجزاء والمكافأة، والجمع: الأديان، يقال: دان الله العباد بدينهم يوم القيامة، أي يجزيهم وهو ديّان العباد، ويقال دان يدينه دينا، أي جازاه، ومنه الديان: وهو من أسماء الله تعالى وصفاته، ومعناه: القهار والحكم والقاضي، وقيل الحاكم والقاضي هو فعّال، أي من دان الناس إذا ساسهم وقهرهم على الطاعة فانقادوا له.(٣)

والدِّين: العادة والشأن، وهي أيضاً: بمعنى الطاعة، تقول: دان له يدين ديناً أي أطاعه، ودان به أي تعبد به وتدين به.(٤)

٥/ قوله تعالى: ﴿ أَفْوَاجًا ﴾(٥).

الفوج والفائج: الجماعة من الناس، والجمع: أفواج وأفاوج وأفاويج، فقوله سبحانه: ﴿ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾(٦) أي جماعات كثيرة بعد أن كانوا يدخلون واحداً واحداً واثنين اثنين، صارت القبيلة تدخل بأسرها في الإسلام.(٧)

---

(١) ينظر لسان العرب ــ لابن منظور: ٢٣٩/١١-٢٤٣ والقاموس المحيط ــ للفيروز آبادي: ١٢٩٠-١٢٩١.

(٢) سورة النصر ــ من الآية: ٢.

(٣) ينظر العين ــ للفراهيدي: ٧٣/٨ وأساس البلاغة ــ للزمخشري: ٢٠٠.

(٤) ينظر العين ــ للفراهيدي: ٧٣/٨ والمصباح المنير ــ للفيومي: ٢٠٥/١.

(٥) سورة النصر ــ من الآية: ٢.

(٦) سورة النصر ــ من الآية: ٢.

(٧) ينظر العين ــ للفراهيدي: ١٩٠/٦ ولسان العرب ــ لابن منظور: ٣٥٠/٢.

٦/ قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ ﴾[١].

التسبيح: التقديس والتنزيه، وأصله: المر السريع في عبادة الله تعالى، وجعل ذلك في فعل الخير، كما جعل الابعاد في الشر، وجعل التسبيح عاما في العبادات، قولاً كان، أو فعلاً، أو نية.[٢]

وسبح في الكلام: إذا أكثر فيه التسبيح، وسبحان الله معناه: تنزيهاً لله تعالى عن كل ما لا ينبغي أن يوصف به، ويأتي التسبيح بمعنى الصلاة قال سبحانه: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾[٣] فالآية تأمر بالصلاة في أوقاتها، ويطلق التسبيح على أنواع الذكر مجازاً، كالتحميد والتمجيد وغيرها.[٤]

٧/ قوله تعالى: ﴿ بِحَمْدِ ﴾[٥].

الحمد: الثناء وهو نقيض الذم، يقال حمدته على فعله، ويقال: بلوته فاحمدته أي وجدته حميداً محمود الفعال.[٦] والحمد بمعنى الشكر، والرضى والجزاء، وقضاء الحق. وقيل الحمد: بمعنى الثناء بالفضيلة، وهو أخص من المدح وأعم من الشكر، فكل شكر حمد، وليس كل حمد شكرا، وكل حمد مدح وليس كل مدح حمداً.[٧]

---

(١) سورة النصر ــ من الآية: ٣.

(٢) ينظر مفردات ألفاظ القرآن ــ للأصفهاني: ٣٩٢ وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ــ للفيروز آبادي: ٢/٢٨٥.

(٣) سورة الروم ــ الآية: ١٧.

(٤) ينظر لسان العرب ــ لابن منظور: ٢/٤٧٣-٢٧٤.

(٥) سورة النصر ــ من الآية: ٣.

(٦) ينظر العين ــ للفراهيدي: ٣/١٨٨-١٨٩.

(٧) ينظر مفردات ألفاظ القرآن ــ للأصفهاني: ٢٥٦.

٨/ قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾[١].

الغفر: إلباس الشيء ما يصونه عن الدنس[٢]، وأصله التغطية والستر كقولنا: غفر الله تعالى ذنوبه، أي سترها وغفره يغفره غفرا: ستره وكل شيء سترته فقد غفرته.[٣]

والاستغفار له معاني متباينة فيأتي:

أ. بمعنى الرجوع عن الشرك والكفر.

ب. بمعنى الصلاة

ج. بمعنى طلب غفران الذنوب، وهو المعنى المراد في النص.[٤]

٩/ قوله تعالى: ﴿تَوَّابًا﴾[٥].

التوبة: الرجوع من الذنب، والتوب مثله وهو جمع توبة وتاب إلى الله تعالى يتوب توبا وتوبة ومتابا: أنابُ ورجع عن المعصية إلى الطاعة.[٦]

والتوب: ترك الذنب على أجمل الوجوه وهو أبلغ وجوه الاعتذار.[٧]

ويطلق التائب على باذل التوبة ولقابل التوبة، والتواب: العبد الكثير التوبة،

---

(١) سورة النصر ــ من الآية: ٣.

(٢) ينظر بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ــ للفيروز آبادي: ١٦٦/٢.

(٣) ينظر لسان العرب ــ لابن منظور: ٢٥/٥.

(٤) ينظر بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ــ للفيروز آبادي: ١٦٦/٢.

(٥) سورة النصر ــ من الآية: ٣.

(٦) ينظر العين ــ للفراهيدي: ١٣٨/٨.

(٧) ينظر مفردات ألفاظ القرآن ــ للأصفهاني: ١٦٩.

وكلمة (توابا) الواردة في قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾[1] من جملة صفات الله جل جلاله، لكثرة قبوله توبة العباد حالا بعد حال.[2]

والتوبة لها معاني متباينة تأتي:

١. بمعنى التجاوز والعفو وهو الوجه المراد في النص.

٢. بمعنى الرجوع والإنابة.

٣. بمعنى الندامة على الزلة.

وتعد التوبة من أفضل مقامات السالكين.[3]

المطلب الثاني

أسباب النزول وتاريخه

من المعلوم أن القرآن منه ما نزل مرتبطا بسبب من الأسباب سواء أكان إجابة على سؤال أو بيانا لحكم زمن وقوعه، ومنه ما نزل إخبارا عن الوقائع الماضية أو الوقائع المستقبلية فيكون هذا من باب الإخبار وليس من باب أسباب النزول.[4] وقد تباينت آراء العلماء في وقت نزولها إلى عدة أقوال:

١. القول الأول: إن نزولها كان عند منصرف الرسول صلى الله عليه وسلم من غزوة خيبر سنة سبع للهجرة وعاش صلى الله عليه وسلم بعد نزولها سنتين.[5] ومما يعزز هذا الرأي ما ورد عن ابن عباس (رضي الله عنه)

---

(١) سورة النصر ــ من الآية: ٣.

(٢) ينظر مفردات ألفاظ القرآن ــ للأصفهاني: ١٦٩.

(٣) ينظر بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ــ للفيروز آبادي: ٣٠٤/٢-٣١٢.

(٤) ينظر الإتقان في علوم القرآن ــ للسيوطي: ٣١/١ ومباحث في علوم القرآن ــ لصبحي الصالح: ١٣٢.

(٥) ينظر تفسير البحر المحيط ــ لأبي حيان: ٥٢٣/٨ وروح المعاني ــ للآلوسي: ٢٥٥/٣٠.

أنه قال: (بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة إذ قال: الله أكبر الله أكبر جاء نصر الله والفتح جاء أهل اليمن قيل يا رسول الله وما أهل اليمن قال صلى الله عليه وسلم: قوم رقيقة قلوبهم لينة طباعهم الإيمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية)[1] وقد ضارع مجيء أهل اليمن عام غزوة خيبر.[2] وعلى هذا القول يكون نزولها قبل فتح مكة سنة ثمان للهجرة،[3] وهو قول أكثر العلماء،[4] ويعززه ورود (إذا) أداة شرط لما يستقبل من الزمان فتكون السورة من جملة المعجزات لأنها أخبرت عن غيب وقد وقع وتحقق.[5]

٢. القول الثاني: إنها (نزلت في منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة حنين عام (٨هـ) وعاش سنتين بعد نزولها)[6] ودليله ما روي عن ابن عباس (رضي الله عنه) أنه قال: لما أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة حنين أنزل عليه إذا جاء نصر الله والفتح، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعلي بن أبي طالب يا فاطمة بنت محمد جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبحان ربي وبحمده

---

(١) السنن الكبرى ــ النسائي: ٥٢٥/٦.

(٢) ينظر التحرير والتنوير ــ لابن عاشور: ٥٨٧/٣.

(٣) ينظر سيرة ابن هشام ــ لعبد السلام هارون: ٥١/٢-٧٠.

(٤) ينظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل ــ للبيضاوي: ٥٩٦/٦ وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ــ لأبي السعود: ٢٠٨/٦.

(٥) ينظر غرائب القرآن ورغائب الفرقان ــ للنيسابوري: ٢٠٧/٣٠ والتفسير الكبير ــ للرازي: ١٥٥/٣٢.

(٦) أسباب النزول ــ للواحدي: ٢٦١.

واستغفره إنه كان توابا)[1] وعليه يكون الفتح قد مضى ودخول الناس في الدين أفواجا مستقبلا وهو سنة الوفود عام (٩هـ) وهذا يشير إلى أن أداة الشرط (إذا) مستعملة في مجرد التوقيت دون التعيين.[2]

٣. القول الثالث : ما روي من ابن عمر (رضي الله عنه) أنه قال: هذه السورة أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أوسط أيام التشريق بمنى وهو في حجة الوداع إذا جاء نصر الله والفتح حتى ختمها فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه الوداع)[3] وعاش صلى الله عليه وسلم بعدها (٨٠) يوما أو نحوها.[4] وعليه فإن أداة الشرط على هذا القول قد استعملت الزمن الماضي؛ لأن الفتح قد وقع[5] فيكون نزولها سنة (١٠هـ) وتعد من أواخر سور القرآن نزولا[6] ولذلك سميت سورة التوديع.[7]

ومع تباين آراء العلماء في تاريخ نزولها ولكل رأي ما يؤيده، إلا أن السورة تعد من المعجزات لأنها أخبرت عن شيء مستقبلي بدليل أداة الشرط (إذا) المستعملة لما يستقبل من الزمان، زد على هذا فإن جميع الأقوال قد تظافرت على أن السورة أومأت إلى اقتراب أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ورد عن ابن

---

(١) أسباب النزول ــ للواحدي: ٢٦١.

(٢) ينظر التحرير والتنوير ــ لابن عاشور: ٥٨٨/٣٠.

(٣) مسند عبد بن حميد: ٢٧٠.

(٤) ينظر الكشاف ــ للزمخشري: ٢٩٣/٤ ومدارك التنزيل وحقائق التأويل ــ للنسفي: ٥٨٨/٦.

(٥) ينظر التحرير والتنوير ــ لابن عاشور: ٥٨٨/٣٠.

(٦) ينظر تفسير القرآن العظيم ــ لابن كثير: ٥٦١/٤.

(٧) ينظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل ــ للبيضاوي: ٥٩٧/٦.

عباس أنه قال: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله له قال: فإذا جاء نصر الله والفتح وذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا).[1]

هذا وأن مجيء النصر وتحقق الفتح ودخول الناس في دين الله أفواجا يشير إلى دنو أجله صلى الله عليه وسلم وقد تحقق ذلك كما أخبرت السورة.

المطلب الثالث

مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها

إن وقوع سورة (النصر) بعد سورة (الكافرون) وقبل سورة (المسد) يجعل لها ارتباطا بما قبلها وبما بعدها؛ لأن السور القرآنية تؤخذ بعضها بحجزة البعض الآخر، وهذا ما يجعل البناء القرآني بناء محكما متلائم الأجزاء وهذا بيان لارتباط السورة في الفرعين الآتيين:

الفرع الأول

مناسبة السورة لما قبلها

انتهت سورة (الكافرون) بقوله سبحانه: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[2] وهذا يدل على أن الدين سالم من افتراءات الكافرين وخالص من تأويلات المخالفين وبعيد عن تخطيط المناوئين ، فعقب سبحانه ببيان وقت ذلك فجاءت سورة (النصر) بالنصر والفتح ودخول الناس في دين الله أفواجا، وهذا يعني كسر شوكة الكافرين وانتصار دين رب العالمين، ولذلك كانت السورة تشير إلى دنو أجله صلى الله عليه وسلم وقد تحقق.[3] ومن المناسبات اللطيفة أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان

---

(١) صحيح البخاري: ١٩٠١/٤.

(٢) سورة الكافرون ــ الآية: ٦.

(٣) ينظر تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور ــ للسيوطي: ١٤٥.

يردد قوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ * لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾[1]؛ لأجل التبري من معبودات الكافرين فقد شرفه سبحانه بالتشريفات الآتية:

١. نصرتني بلسانك فكان جزاؤه ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾[2].

٢. أن مكة فتحت قلبك وشرحت فؤادك بعسكر التوحيد فأعطيناك فتح مكة المشار إليه بقوله: ﴿ وَٱلْفَتْحُ ﴾[3].

٣. لما أدخلت جوارحك وأعضاءك في ساحة طاعتي وعبوديتي فأنا أيضا أدخلت عبادي في طاعتك، وهو المراد من قوله: ﴿ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾[4].[5]

وهناك وجه آخر من المناسبات هو أن النبي صلى الله عليه وسلم قد تبرأ من كفر الكافرين وواجههم بكل صراحة فسماهم بما يستحقون وكما قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[6] وهذه المواجهة أدخلت الخوف عند بعض القوم فقال من وقعها قوله سبحانه: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾[7] وهذا يشير إلى أن الله سبحانه يطمئن

---

(١) سورة الكافرون ــ من الآية: ١ والآية: ٢.

(٢) سورة النصر ــ الآية: ١.

(٣) سورة النصر ــ من الآية: ١.

(٤) سورة النصر ــ من الآية: ٢.

(٥) ينظر التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ــ للرازي: ١٤٩/٣٢.

(٦) سورة الكافرون ــ من الآية: ١.

(٧) سورة الكافرون ــ الآية: ٦.

محمد صلى الله عليه وسلم بعدم الخوف، فإني لا أذهب بك إلى النصر بك أجيء بالنصر إليك وهذا قوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾[1].[2]

وجه ثالث للمناسبة وهو أن الله سبحانه وتعالى أكرم رسوله بالكوثر فلابد من أن يتحمل سفاهة الأعداء حيث طلبوا منه أن يعبد آلهتهم ليعبدوا آلهته لكنه تبرأ من ذلك وضاق قلبه من جهتهم؛ ولأجل أن يطمئنه سبحانه قال له أبشر فقد جاء نصر الله فلما استبشر قال الرحيل الرحيل، أما علمت أن بعد الكمال نقص وزوال.[3] زد على ما تقدم أن قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾[4] موادعة للكافرين لكنه في سورة النصر جاء ما يدخل الخوف والهلع في نفوسهم حيث النصر المؤزر وفتح مكة وخضد شوكة الكفر وأهله وإظهار دين الله.[5]

ومن المناسبات اللطيفة كذلك هو أن الله سبحانه وتعالى لم يذكر اسما من أسمائه في سورة (الكافرون) فقال: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾[6] وقال في سورة النصر: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾[7] فعدم ذكره لاسم من أسمائه حتى لا يهينوه ولا يستخفوا به فتزداد عقوبتهم، وفي هذه السورة ذكر أعظم أساميه، لأنها منزلة على الأحباب ليكون ثوابهم عظيم، فكأنه سبحانه قال لرسوله صلى الله عليه

---

(١) سورة النصر ــ الآية: ١.

(٢) ينظر التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ــ للرازي: ١٥٠/٣٢.

(٣) ينظر المصدر نفسه: ١٥٠/٣٢ وتناسق الدرر في تناسب الآيات والسور ــ للسيوطي: ١٤٥-١٤٦ والجواهر في تفسير القرآن الكريم ــ لطنطاوي جوهري: ٢٨٣/٢٥.

(٤) سورة الكافرون ــ من الآية: ٦.

(٥) ينظر البحر المحيط ــ لأبي حيان: ٥٢٣/٨ وروح المعاني ــ للألوسي: ٢٥٥/٣.

(٦) سورة الكافرون ــ الآية: ٢.

(٧) سورة النصر ــ الآية: ١.

وسلم لا تذكر اسمي مع الكافرين حتى لا يهينوه، واذكره مع الأولياء حتى يكرموه.(١)

ونستشف من السورتين وجها آخر من المناسبات وهو اختلاف الدينين دين الله الذي يدعو إليه الرسول صلى الله عليه وسلم ودين الكافرين، فأشار في سورة النصر إن دين الكافرين سيزول وأن دين الله سيظهر وينتصر ويكون هو دين السواد الأعظم من سكان الأرض.(٢) وقد تحقق ذلك فحصل النصر بالفتح ودخول الناس في دين الله جماعات تتلوها جماعات.(٣)

الفرع الثاني

مناسبة السورة لما بعدها

إن وجه مناسبة سورة النصر مع سورة المسد هو أن الله سبحانه وتعالى ذكر في نهاية سورة (الكافرون) ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾(٤) فكأنه صلى الله عليه وسلم قال إلهي ما جزائي؟ فقال سبحانه: ﴿ نَصْرُ اللَّهِ ﴾(٥) فيقول أخرى وما جزاء عمي حين دعاني إلى عبادة الأصنام فقال تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾(٦) مما تقدم نلاحظ الترابط الوثيق بين السور وكأنها قطعة واحدة.(٧) فسورة النصر تحمل

---

(١) ينظر التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ــ للرازي: ١٥٠/٣٢.

(٢) ينظر تفسير المراغي: ٢٥٧/٣٠.

(٣) ينظر التفسير القرآني للقرآن ــ لعبد الكريم الخطيب: ١٦٩٩/٣٠.

(٤) سورة الكافرون ــ الآية: ٦.

(٥) سورة النصر ــ من الآية: ١.

(٦) سورة المسد ــ الآية: ١.

(٧) ينظر التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ــ للرازي: ١٥٠/٣٢ وروح المعاني ــ للألوسي: ٢٥٩/٣٠.

بشارات أسعدت رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين؛ لأنهم رأوا بأم أعينهم عزة الإسلام وغلبته ؛ لا بل خلصت عليهم حلل النصر وقدمت لهم أكاليل الفوز لالتزامهم بأحكام شرعه وإخلاصهم ووفائهم لدينهم، وبالمقابل فقد أظهر سبحانه وتعالى خسران الكافرين وبين نهاية الطاغية (أبو لهب) الذي يمثل ضلال المشركين وسفاهة الملحدين وكيدهم لرسول الله والمؤمنين.[1] فسورة النصر أظهرت بجلاء ثواب المطيع نصرا واستعلاءا في الدنيا وفوزا في الآخرة، ولا شك أن الناس لم يدخلوا جميعا في دين الله فجاءت سورة المسد بعد سورة النصر لتؤكد هلاك الذين لم يدخلوا في دين الله وخسرانهم وهذا ما يحمل العصاة عاقبة الخسارة في الدنيا والعقاب في الأخرى.[2] وقدم سبحانه وتعالى سورة النصر ليظهر انتصار المؤمنين بعد ذلة، وكثرهم بعد قلة وختمها بأنه التواب، ثم جاء بسورة المسد ليظهر شدة العناد للدين وأذى سيد المرسلين من لدن أقرب الناس للنبي صلى الله عليه وسلم وهو أبو لهب ليذكر من خلاله جبروت الكافرين وأذاهم وقوتهم وعددهم وعدتهم التي لم تغني عنهم شيئاً، ليكون النصر والفتح أقوى وأظهر للمسلمين وأقهر لأعدائهم، وذكر الله سبحانه لأشدهم عداء وأقربهم لرسول الله نسباً ليشير إلى أنه لا فرق في تكذيبه لهم بين القريب والبعيد.[3]

حقاً إن علم المناسبة علم شريف يظهر للباحث دقة الترابط والعلاقات والتلازم الذهني بين الآيات والسور بمنظومة هندسية لا يتطرق إليها خلل.

---

(١) ينظر التفسير القرآني للقرآن ــ لعبد الكريم الخطيب: ١٧٠٢/٣٠-١٧٠٣.

(٢) ينظر روح المعاني ــ للآلوسي: ٢٥٩/٣٠ وتفسير المراغي: ٢٦٠/٣٠.

(٣) ينظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ــ للبقاعي: ٥٦٧/٨.

المطلب الرابع

القراءات

وردت في السورة قراءات متواترة وهذا بيانها:

١) قوله تعالى: ﴿جَآءَ﴾[١] قرئت بإمالة الألف بعد الجيم وهي قراءة حمزة وهشام وابن ذكوان.[٢] وقرأ الباقون بالفتح.[٣]

٢) قوله تعالى: ﴿نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾[٤]: قرئت (فتح الله والنصر) وهي قراءة ابن عباس (رضي الله عنه).[٥]

٣) قوله تعالى: ﴿يَدْخُلُونَ﴾[٦] وفيها قراءتان:

أ/ قرئت (يَدْخُلُونَ) مبنيا للفاعل: وهي قراءة الجمهور.[٧]

---

(١) سورة النصر ــ من الآية: ١.

(٢) ينظر إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشرة ــ للشيخ أحمد محمد البنا: ٦٣٥/٢ ومعجم القراءات القرآنية ــ للدكتور عبد العال سالم والدكتور أحمد مختار: ٢٦١/٨.

(٣) ينظر السراج المنير ــ للخطيب الشربيني: ٦٠١/٤.

(٤) سورة النصر ــ من الآية: ١.

(٥) ينظر الكشاف ــ للزمخشري: ٢٩٤/٤ والدر المنثور ــ للسيوطي: ٤٠٦/٦ وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ــ لأبي السعود العمادي: ٢٠٨/٩ وروح المعاني ــ للألوسي: ٢٥٧/٣٠ ومعجم القراءات القرآنية ــ للدكتور عبد العال سكرم والدكتور أحمد مختار عمر: ٢٦١/٨.

(٦) سورة النصر ــ من الآية: ٢.

(٧) ينظر البحر المحيط ــ لأبي حيان الأندلسي: ٥٢٣/٨.

ب/ قرئت (يُدخَلُونَ) مبنياً للمفعول: وهي قراءة ابن كثير.[1]

٤) قوله تعالى: ﴿أَفْوَاجًا﴾[2]: قرئت بالوقف نحو (أفواجا) وبالتحقيق أي بلفظ الهمزة كما هو معروف بإظهار صوتها، وبالإبدال أي إبدال الهمزة ياءً مفتوحة فتقرأ (يفوجا) لأن الهمزة توسطت بين هاء لفظ الجلالة المكسورة ولفظ أفواجا.[3]

المطلب الخامس

الإعراب

سنقتصر على ما هو ضروري لبيان موقعه إعرابياً وكما يأتي:

١/ قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾[4]:

إذا ظرف زمان تتضمن معنى الشرط خافضة لشرطها منصوبة بجوابها.[5] وجوابها يحتمل أن يكون:

---

(١) ينظر الكشاف ــ للزمخشري: ٢٩٤/٤ والبحر المحيط ــ لأبي حيان الأندلسي: ٥٢٣/٨ وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ــ لأبي السعود العمادي: ٢٠٩/٩ وروح المعاني ــ للألوسي: ٢٥٧/٣٠ ومعجم القراءات القرآنية ــ للدكتور عبد العال سالم مكرم والدكتور أحمد مختار عمر: ٢٦١/٨.

(٢) سورة النصر ــ من الآية: ٢.

(٣) ينظر إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشرة ــ للشيخ أحمد محمد البنا: ٦٣٥/٢ ومعجم القراءات القرآنية ــ للدكتور عبد العال سالم مكرم والدكتور أحمد مختار عمر: ٢٦١/٨.

(٤) سورة النصر ــ من الآية: ١.

(٥) ينظر إعراب القرآن ــ للنحاس: ٣٠٣/٥.

أ. ﴿ فَسَبِّحْ ﴾[1]: وهو العامل فيها نصباً على الظرفية.[2] وقيل: جوابها (الفاء).[3]

ب. أو محذوف تقديره: (حضر أجلك)، أي إذا جاء نصر الله إياك على من عاداك حضر أجلك.[4]

٢/ قوله تعالى: ﴿ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ ﴾[5]:

يدخلون: يدخل: فعل مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، و(الواو) ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل.[6]

أما جملة يدخلون فمحلها النصب ويجوز فيها:

أ. أن تكون في موضع الحال من الناس على أن (رأيت) بمعنى أبصرت أو عرفت (من رؤية العين)، والتقدير: ورأيت الناس حال دخولهم في دين الله

---

(١) سورة النصر ــ من الآية: ٣.

(٢) ينظر الكشاف ــ للزمخشري: ٣٩٤ ومدارك التنزيل وحقائق التأويل ــ للنسفي: ٥٨٨/٦ والبحر المحيط ــ لأبي حيان الأندلسي: ٥٢٣/٨.

(٣) ينظر مجمع البيان في تفسير القرآن ــ للطبرسي: ٢١٢/٣٠.

(٤) ينظر فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ــ للأنصاري: ٦٣١ وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ــ للفيروز آبادي: ٥٥٠/١.

(٥) سورة النصر ــ من الآية: ٢.

(٦) ينظر إعراب ثلاثين سورة من القرآن ــ لابن خالويه: ٢٣٤ وإعراب القرآن ــ للكرباسي: ٧١٥/٨.

أفواجاً.[1]

ب. أو هي في محل مفعول ثان (لرأيت) على أنه بمعنى علمت (المتعدية لمفعولين) والتقدير: علمت الناس داخلين في دين الله.[2]

المطلب السادس

القضايا البلاغية

حفلت السورة بقضايا بلاغية عديدة وهذا تفصيلها:

١. ورد المجاز المفرد المرسل في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾[3]، أي وقع وتحقق وتقرر فعلاً بإذن الله جل ثناؤه.[4] والعلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي علاقة بدلية وهي كون الشيء بدلاً عن شيء آخر، فإطلاق المجيء على نصر الله تعالى هو مجاز، والحقيقة أن نصر الله تعالى متحقق وحاصل، فالتعبير عن حصول النصر والفتح بالمجيء، للإيذان بأنهما متوجهان نحو النبي صلى الله عليه وسلم، وهو ما

---

(١) ينظر إعراب ثلاثين سورة من القرآن ــ لابن خالويه: ٢٣٤ ومشكل إعراب القرآن ــ لأبي طالب القيسي: ١٥٠/٢ والتبيان في إعراب القرآن ــ للعكبري: ٢٩٦/٢ وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ــ للنيسابوري: ٢٠٧/٣٠.

(٢) ينظر إعراب القرآن ــ للنحاس: ٣٠٣/٥ وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ــ لأبي حيان الأندلسي: ٥٢٣/٨ ومدارك التنزيل وحقائق التأويل ــ للنسفي: ٥٩٥/٦ وإعراب القرآن ــ للكرباسي: ٧١٥/٨.

(٣) سورة النصر ــ الآية: ١.

(٤) ينظر روح المعاني ــ للألوسي: ٢٥٦/٣٠ والتفسير الوسيط ــ للزحيلي: ٢٩٥٠/٣ ومواهب الرحمن في تفسير القرآن ــ للمدرس: ٥٧٣/٧ وسورة النصر دراسة وتحليل ــ لقتيبة الراوي: ٦٨.

يشير إلى ترقبه وأنهما على جناح الوصول إليه عن قريب فهو آت وواقع لا ريب فيه، بدليل التعبير بـ (إذا) التي هي التحقيق وقد تلاها الفعل الماضي، لدلالته على الوقوع والحصول قطعاً، وإعلاماً بأنه لا يخلف الوعد ولا ينقص ما قدره وإن توهمت العقول أنه فات وقته، فهو موقع اليقين من المؤمنين قبل أن يتحقق.(١)

٢. ورد النصر مضافاً إلى لفظ الجلالة في قوله سبحانه: ﴿ نَصْرُ ٱللَّهِ ﴾(٢) وهذه الإضافة تدل على تمام وكمال الدلالة، فهي مشعرة بالنصر التام لرسول الله صلى الله عليه وسلم.(٣)

٣. أن ورود ذكر الخاص بعد العام في قوله سبحانه: ﴿ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾(٤)، لتعظيم من خص بذكره: فنصر الله تعالى يشمل جميع الفتوحات، ولكن عندما عطف عليه فتح مكة (شرفها الله تعالى)، تعظيماً لشأن هذا الفتح واعتناء بأمره.(٥)

---

(١) ينظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ـ للبقاعي: ٨/ ٥٦٠ وجواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ـ للهاشمي: ١٦٣ وسورة النصر دراسة وتحليل ـ لقتيبة الراوي: ٦٩.

(٢) سورة النصر ـ من الآية: ١.

(٣) ينظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ـ للبقاعي: ٨/ ٥٦٠.

(٤) سورة النصر ـ من الآية: ١.

(٥) ينظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ـ للبقاعي: ٨/ ٥٦٠ وصفوة البيان ـ للصابوني: ٦١٦/٣ وسورة النصر دراسة وتحليل ـ لقتيبة الراوي: ٦٩.

٤. إطلاق العموم وإرادة الخصوص في قوله تعالى: ﴿ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ ﴾[١] فالناس في النص عام، ولكن المراد به جماعة مخصوصة ممن اعتنق الإسلام، والمعنى: ورأيت كثيرين أو رأيت العرب.[٢]

٥. الاستعارة المكنية في قوله تعالى: ﴿ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ ﴾[٣] فالدخول في الدين مستعار للنطق بكلمة الشهادة، وهذا يستلزم الالتزام بأحكام الدين الحنيف الناشئة عن تلك الشهادة، فشبه الدين ببيت على طريق المكنية، ورمز إليه بما هو من لوازم المشبه به وهو الدخول، على تشبيه التلبس بالدين بتلبس المظروف بالظرف.[٤]

٦. أن إضافة اسم الجلالة إلى لفظ الدين في قوله تعالى ﴿ دِينِ ٱللَّهِ ﴾[٥] الذي هو الإسلام دليل على تشريفه وتعظيمه لهذا الدين[٦] بدليل قوله سبحانه ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[٧].

٧. وسن بلاغة القول ورود أربع مؤكدات في قوله الوجيز البليغ ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴾[٨] وهي: إن، وكان، وصيغة المبالغة، وتنوين

---

(١) سورة النصر ــ من الآية: ٢.

(٢) ينظر التحرير والتنوير ــ لابن عاشور: ٣٠/٥٩٢ وصفوة التفاسير ــ للصابوني: ٣/١١٦ وسورة النصر دراسة وتحقيق ــ لقتيبة الراوي: ٧٠.

(٣) سورة النصر ــ من الآية: ٢.

(٤) ينظر التحرير والتنوير ــ لابن عاشور: ٣٠/٥٩٢.

(٥) سورة النصر ــ من الآية: ٢.

(٦) ينظر التحرير والتنوير ــ لابن عاشور: ٣٠/٥٩٢ وصفوة التفاسير ــ للصابوني: ٣/٦١٦.

(٧) سورة آل عمران ــ من الآية: ١٩.

(٨) سورة النصر ــ من الآية: ٣.

التعظيم، فاستخدام صيغة (فعال) في وصفه تعالى بالتوبة التي هي للمبالغة، وكثرة المؤكدات دلالة على كثرة ذنوب العباد، أي أنه سبحانه كثير القبول لتوبة التائبين إليه، وسعة مغفرته لذنوبهم.(١)

٨. الاحتباك(٢) في قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾(٣) وهو من أرفع الخصائص البيانية فكان الحق سبحانه يقول: فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان غفارا وتب إليه إنه كان توابا. فجاء بالتعليلين؛ لأن استغفره تعليلها: إنه كان غفارا وتب إليه تعليلها: إنه كان توابا. فحذف إنه كان غفارا من الأول ما دل عليه من الثاني. وحذف وتب إليه من الثاني ما دل عليه من الأول، فجاءت الآية بإيجاز دقيق وفائدة كبيرة.(٤)

المطلب السابع

المعنى العام للسورة

السورة قليلة المبنى لكنها كبيرة المعنى، ولاسيما لمن يديم التفكير في فحواها فهي تحمل بشارة وإشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.(٥)

---

(١) ينظر تفسير المراغي ــ لأحمد مصطفى المراغي: ٣٠/٢٥٩ وسورة النصر دراسة وتحليل ــ اقتيبة الراوي: ٧١.

(٢) الاحتباك: هو الحذف من كلامين متقابلين، وكل منهما يدل على المحذوف من الآخر. إعراب القرآن الكريم وبيانه ــ محيي الدين الدرويش: ١/٤٠١ وينظر المختار من تفسير القرآن العظيم ــ للشعراوي: ٣/٦٥.

(٣) سورة النصر ــ الآية: ٣.

(٤) ينظر المختار من تفسير القرآن العظيم ــ للشعراوي: ٣/٦٥.

(٥) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ــ للسعدي: ٩٣٦.

فالبشارة زفت له نصر الله على أعدائه وفتح مكة[1] ودخول الناس في دين الله زرافات بعدما كانوا يدخلونه وحدنا بحيث يكون الكثير منهم من أهله وأنصاره.[2]

وبعد هذا إعجازاً؛ لأن السورة مزقت حواجز الغيب المكانية والزمانية؛ ولأن الزمان والمكان لا يحجبان الحق، فالبشارة متحققة الوقوع بمجيء الفعل الماضي مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يطلع على الأمر لا قراءة ولا سمعاً من أحد بدليل قوله سبحانه: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[3].

وعليه فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقول للناس ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾[4] ثم لا يجيء، معنى ذلك أنه يقولها وهو واثق من أن ذلك وحي من الله سبحانه وهو وحده القادر على أن يأتي بالحدث وفق ما أخبر؛ لأن الله وحده هو الذي يمتلك عوامل الحدث: الفاعل والمفعول والسبب والطاقة وهذا يؤكد أن الإنسان غير قادر على أن يتحكم بالعوامل؛ لأنه لا يملكها فالمالك هو الله، وهذا

---

(١) فتح مكة قول جمهور المفسرين والذي جمع له النصر والفتح ولذلك يقال له فتح الفتوح. ينظر الكشاف ــ للزمخشري: ٢٩٤/٤ والتفسير الكبير ــ للرازي: ١٥٣/٣٢ وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ــ للنيسابوري: ٢٠٦/٣٠-٢٠٧ وتفسير القرآن العظيم ــ لابن كثير: ٥٦٣/٤ ولباب التأويل في معاني التنزيل ــ للخازن: ٥٨٨/٦-٥٩٥ ومجمع البيان في تفسير القرآن ــ للطبرسي: ٢١٣/٣٠-٣١٨.

(٢) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ــ للسعدي: ٩٣٦.

(٣) سورة العنكبوت ــ الآية: ٤٨.

(٤) سورة النصر ــ الآية: ١.

يؤكد يقيناً أن المستقبل عنده مثل الماضي تماماً.[1] وقد يجازف الإنسان بنفسه حين يقول أفعل ذلك غدا على وجه التحديد؛ لأنه لا يمتلك التصرف بعوامل الحدث ولذلك علمنا الله سبحانه أدب الحديث لكي لا نكون كاذبين فقال: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا * إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[2] وما دام (إلا أن يشاء الله) فقد أحلت الأشياء إلى من يمتلك وجودها والتصرف بها، فإذا فعلت أم لم تفعل فإنك لا تكون كاذباً بإخبارك عنها.[3]

مما تقدم يعد إعلان ذلك شروعا في إعلامات النبوة وتطمينا له وقت الشدة والضيق يوم يفقد المؤمنون بارقة الأمل في الإنتصار على الأعداء فإذا بنصر الله قادم لا محالة.[4]

أما الإشارة فتؤكد وجود إشارتين: إشارة استمرار النصر لهذا الدين ولاسيما عند حصول الشكر لما تحقق يقول سبحانه: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[5] وبتحقق الشكر على أتم وجه آنذاك استمر النصر ووصل الإسلام إلى ما لم يصل إليه دين من الأديان، ودخل فيه ما لم يدخل في غيره، وسيبقى هذا ما لم تخالف الأمة أمر الله فتبتلى بالفرقة وتشتت الأمر.[6] أما الإشارة الثانية، فهي الإشارة إلى أن أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قرب ودنا، وهذه الإشارة لا يمكن اقتناصها من السورة إلا من يمتلك فطنة وبعد نظر فهذا ابن عباس (رضي الله عنه)

---

(١) ينظر المختار من تفسير القرآن العظيم ــ للشعراوي: ٣/٨٦-٨٩.

(٢) سورة الكهف ــ الآية: ٢٣-٢٤.

(٣) ينظر المختار من تفسير القرآن العظيم ــ للشعراوي: ٣/٨٨-٨٩.

(٤) ينظر المصدر نفسه: ٨٦.

(٥) سورة إبراهيم ــ من الآية: ٧.

(٦) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ــ للسعدي: ٩٣٦.

يقول: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال: لم تدخل هذا معنا وإنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم فدعا ذات يوم فادخله معهم فما رئيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم قال: ما تقولون في قول الله ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾[1] فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لي أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله له قال: إذا جاء نصر الله والفتح وذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا فقال عمر: لا أعلم منها إلا ما تقول).[2]

وهذه الإشارة تبين لنا أن عمره عمر فاضل أقسم الله به بقوله: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[3].

وخير ما يختم به الإنسان حياته ما أمره به نبيه صلى الله عليه وسلم من التسبيح والاستغفار بقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[4] فالتسبيح بحمده أولا، لأنه المطلوب في مقام الشكر، على هذه النعمة العظيمة بالنصر والفتح، ثم الاستغفار ثانيا مما وقع من تقصير في حق الله حتى مجيء النصر والفتح.[5]

---

(١) سورة النصر ــ الآية: ١.

(٢) صحيح البخاري شرح عمدة القاري ــ للعيني: ٦/٢٠.

(٣) سورة الحجر ــ الآية: ٧٢.

(٤) سورة النصر ــ الآية: ٣.

(٥) ينظر التفسير القرآني للقرآن ــ لعبد الكريم الخطيب: ١٧٠١/٣٠.

(فالاستغفار فيه إيحاء للنفس وإشعار في لحظة الزهو والفخر بأنها في موقف التقصير والعجز. فالأولى أن تطامن كبريائها، وتطلب العفو من ربها. وهذا يصد قوى الشعور بالزهو والغرور. ثم إن ذلك الشعور بالنقص والعجز والتقصير والإتجاه إلى الله طلبا للعفو والسماحة والمغفرة يضمن كذلك عدم الطغيان على المقهورين المغلوبين. ليرقب المنتصر الله فيهم، فهو الذي سلطه عليهم، تحقيقا لأمر يريده هو. والنصر نصره، والفتح فتحه، والدين دينه، وإليه تصير الأمور)[1] وهذا ما جعل محمدا صلى الله عليه وسلم ينحني لله شاكرا فضله على ظهر دابته عندما دخل مكة، ناسيا نشوة النصر.[2] مرددا ما علمه ربه من الحمد والاستغفار كما جاء في السنة المطهرة عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب إليه، قالت: فقلت يا رسول الله أراك تكثر من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب إليه، فقال: خبرني ربي أني سأرى علامة في أمتي فإذا رأيتها أكثرت من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب إليه، فقد رأيتها إذا جاء نصر الله والفتح)[3] ودعوة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الاستغفار هي دعوة لأمته لمراجعة ما وقع في النفوس من ظنون بالله عند بعض المؤمنين، أو ضجر من الصبر على البلاء عند بعض آخر، أو شعور بشيء من الأسى والحزن عند فريق ثالث حتى يأتي أمر الله بالنصر والفتح.[4]

---

(١) في ظلال القرآن ــ لسيد قطب: ٦٩٥/٨.

(٢) ينظر المصدر نفسه: ٦٩٦/٨.

(٣) صحيح مسلم: ٣٥١/١.

(٤) التفسير القرآني للقرآن ــ لعبد الكريم الخطيب: ١٧٠٢/٣٠.

هذا وأن ذكر صفة المبالغة لله سبحانه بأنه تواب أي كثير التوبة على عباده واسع المغفرة لذنوبهم، يعني دلالة على كثرتها، والدلالة على كثرتها دلالة على كثرة ذنوب العباد... مما ينبغي أن يتطهر منه المجاهدون، وأن يصفو حسابهم معه بالتوبة والاستغفار.(١)

ومن المعروف أن الكمال دليل الزوال كما قال سيدنا علي (رضي الله عنه):

إذا تم أمر بدا نقصه ... توقع زوالا إذا قيل تم(٢)

وقد انكشف ذلك مما تقدم من معاني سامية لهذه السورة فبحق إنها سورة التوديع.

المطلب الثامن

ما يستفاد من السورة

بعد هذه الجولة العلمية الممتعة في رحاب سورة النصر حيث الجو القرآني الذي يحلق بالباحث إلى معالي المكرمات حيث نفحات الإيمان التي تمنح قلبه ثباتا وتبعث في نفسه اطمئنانا وتزيده علما ومعرفة وتكشف الفوائد جمة ولعل أهمها ما يأتي:

١. السورة المباركة حملت لرسول الله صلى الله عليه وسلم بشارة وإشارة ، فالبشارة نصره على الأعداء وفتح مكة ودخول الناس في دين الله جماعات تتلوها جماعات ، أما الإشارة فتؤكد وجود إشارتين هما : استمرار النصر لهذا الدين وقرب أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) التفسير القرآني للقرآن ــ لعبد الكريم الخطيب: ١٧٠٢/٣٠.

(٢) ديوان الإمام علي (رضي الله عنه): ١٢٩.

٢. تعد السورة إعجازا قرآنيا لإخبارها عن حدث النصر وفتح مكة قبل فتحها ـــ عظمها الله ـــ لأنها بذلك مزقت حواجز الغيب الزمانية والمكانية بقدرة الله جل شأنه.

٣. أن الأمر بالتسبيح المقترن بالحمد هو المطلوب في الشكر للنعم العظيمة ثم الاستغفار مما وقع من تقصير في حق الله حتى تحقق النصر والفتح، وهذا درس عظيم موجه للأمة عن طريق نبيها صلى الله عليه وسلم ليفعلوا مثل ما فعل حمدا واستغفارا دائمين.

٤. أن إضافة النصر إلى لفظ الجلالة له دلالة تمام وكمال فهو مشعر بالنصر العظيم المؤزر منه سبحانه لرسوله الكريم يعززه قوله سبحانه: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾(١).

٥. أن المقصود من ﴿ دِينِ ٱللَّهِ ﴾(٢) في السورة هو الإسلام بدليل قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾(٣).

٦. سورة النصر مدنية النزول ومما يؤكد ذلك أسلوبها ونزولها قبل فتح مكة، ويكاد يجمع المفسرون على ذلك.

٧. حفلت السورة بقضايا بلاغية على أرفع درجات البيان أمثال ذكر الخاص بعد العام وإطلاق العموم وإرادة الخصوص والاستعارة المكنية والمؤكدات المتعددة والاحتباك كل ذلك جاء في مبناها القليل والذي أفضى إلى معان كثيرة ومتعددة بأسلوب آخاذ معجز بترتيبه ونظم آياته والمناسبة بينها.

---

(١) سورة آل عمران ـــ من الآية: ١٢٦.

(٢) سورة النصر ـــ من الآية: ٢.

(٣) سورة آل عمران ـــ من الآية: ١٩.

٨. أن السورة بفحواها دللت على حصول الكمال والتمام لتبليغ الرسالة ونجاح الدعوة بدليل دخول الناس في دين الله جماعات جماعات ومن المعروف أن الكمال دليل الزوال وكما قيل: توقع زوالا إذا قيل تم .

٩. تستشف من السورة أن العاقل إذا قرب أجله وأنذره شيبه بادر إلى التوبة والاستغفار وسارع إلى تدارك ما فاته في زمن الغفلة والاغترار ليكون ذلك زاده في الآخرة.

١٠. لا يخفى أن النصر يصحبه فرح وسرور ولربما خالطه كبر واستعلاء ، وهذا خلاف ما توجه إليه السورة بأن يقابل النصر بالحمد والاستغفار الذي يوشحه خشوع وتواضع كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما دخل مكة فاتحا منحني الرأس وهو على دابته.

١١. السورة بينت أن الحمد والاستغفار أمران متلازمان وفي تقديم التسبيح بالحمد على الاستغفار درس عظيم في أدب الدعاء ، حيث يتقدم الثناء على من هو أهله ثم يدعو ما يشاء.

وختاما أسأله سبحانه أن يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا ، وأن يجعلنا من خدمة العلم وأهله ، وأن لا يجعل للهوى على عقلي سبيلا ولا للرياء على عملي دليلا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرست المصادر والمراجع

فهرست المصادر والمراجع

وهي بعد القرآن الكريم

١. الإتقان في علوم القرآن ـ لجلال الدين السيوطي ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

٢. الاحكام في أصول الاحكام ـ للحافظ أبي محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري ـ مطبعة السعادة ـ مصر ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٤٥هـ.

٣. الاحكام في أصول الاحكام ـ العلامة سيف الدين أبي الحسن علي ابن أبي علي بن محمد الأموي ـ مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

٤. أدلة التشريع المتعارضة ـ لبدران أبو العنين بدران ـ مؤسسة شباب الجامعة ـ السكندرية ـ ب ت.

٥. الأربعين في أصول الدين ـ للعلامة محمد بن عمر الرازي ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٥٣م.

٦. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ـ لأبي السعود محمد أبي محمد العمادي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ب ت.

٧. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ـ محمد بن علي بن محمد الشوكاني ـ دار الفكر ـ ب ت.

٨. أسباب النزول ـ لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ١٣١٦هـ.

٩. أساس البلاغة ـ لجار الله أبي القاسم محمد بن عمر الزمخشري ـ دار صادر ـ بيروت ـ ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

١٠. أسرار التقديم والتأخير في القرآن الكريم ــ للدكتور محمود السيد شيحون ــ القاهرة ــ مكتبة الكليات الأزهرية ــ ١٩٨٣م.

١١. اشراف المقاصد في شرح المقاصد ــ للإمام العلامة أحمد بن محمد بن محمد بن يعقوب الوالي المكناسي ــ المطبعة الخيرية ــ الطبعة الأولى ــ ١٣٢٥هـ.

١٢. أصول الأحكام وطرق استنباط الأحكام الشرعية ــ د. حمد الكبيسي ــ دار الحرية ــ بغداد ــ الطبعة الأولى ــ ١٩٧٥م.

١٣. أصول البزدوي ــ لفخر الإسلام أبي الحسن علي بن محمد بن الحسين البزدوي ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

١٤. أصول التفسير لكتاب الله المنير ــ لخالد عبد الرحمن العك ــ دمشق ــ ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م ــ ب ت.

١٥. أصول الدين ــ للإمام أبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي ــ مطبعة الدولة ــ استانبول ــ الطبعة الأولى ــ ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م.

١٦. أصول السرخسي ــ للإمام الفقيه أبي بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي ــ حقق أصوله أبو الوفا الأفغاني ــ مطابع دار الكتاب العربي ــ القاهرة ــ ١٣٧٢هـ.

١٧. أصول الفقه الإسلامي ــ بدران أبو العنين بدران ــ مطبعة م.ك الإسكندرية ــ ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

١٨. أصول الفقه الإسلامي ــ محمد مصطفى شلبي ــ دار النهضة العربية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

١٩. أصول الفقه ــ للشيخ محمد الخضري ــ مطبعة السعادة ــ مصر الطبعة الرابعة ــ ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

٢٠. إعراب القرآن الكريم وبيانه ـ لمحيي الدين درويش ـ مطبعة سليمان زاده ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٢٥هـ.

٢١. إعراب القرآن ـ لأبي جعفر بن محمد بن إسماعيل النحاس ـ تحقيق د. زهير غازي زاهد ـ عالم الكتب ـ مكتبة النهضة العربية ـ الطبعة الثانية ـ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٢٢. إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ـ لأبي عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه ـ طبعة دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع ـ ب ت.

٢٣. إعراب القرآن ـ لمحمد جعفر الشيخ إبراهيم الكرباس ـ منشورات دار مكتبة الهلال ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٢٤. أعلام الموقعين من رب العالمين ـ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم ـ راجعه طه عبد الرؤوف سعد ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ١٩٧٣م.

٢٥. الأنموذج في أصول الفقه ـ الدكتور فاضل عبد الواحد عبد الرحمن ـ مطبعة المعارف ـ بغداد ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

٢٦. أنوار التنزيل وأسرار التأويل ـ لناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر البيضاوي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٢٠هـ.

٢٧. الإيضاح في علوم البلاغة ـ لجلال الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني ـ مطبعة السنة المحمدية ـ القاهرة ـ ب ت.

٢٨. البحر المحيط ـ لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي ـ دار الفكر ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٢٩. البرهان في علوم القرآن ــ لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ــ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ــ دار إحياء الكتب العربية ــ عيسى البابي الحلبي وشركاه ــ الطبعة ــ ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

٣٠. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ــ لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ــ تحقيق الأستاذ محمد علي النجار ــ طبعة الجمهورية العربية المتحدة ــ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ــ لجنة إحياء التراث الإسلامي ــ القاهرة ــ ١٣٨٣هـ.

٣١. التبيان في أعراب القرآن ــ لأبي البقاء محب الدين عبد الله بن الحسين العكبري ــ تحقيق علي محمد البجاوي ــ دار إحياء الكتب العربية القاهرة ــ الطبعة الأولى ــ ١٩٩٢م.

٣٢. التبيان في علوم القرآن ــ لمحمد علي الصابوني ــ عالم الكتب ــ الطبعة الأولى ــ ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٣٣. التحرير والتنوير ــ للإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ــ الدار التونسية للنشر والدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان الجماهيرية الليبية ــ ب ت .

٣٤. تتمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ــ لمحمد أمين بن محمد المختار الشنقيطي ــ التتمة من عمل تلميذه عطية محمد سالم ــ عالم الكتب ــ بيروت .

٣٥. تفسير القرآن العظيم ــ لعماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير ــ دار المعرفة ــ بيروت ــ لبنان ــ ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م.

٣٦. التفسير القرآني للقرآن ــ لعبد الكريم الخطيب ــ دار الفكر العربي ــ ١٩٧١م.

٣٧. التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ـ للإمام محمد فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر الرازي ـ مكتبة عبد الرحمن محمد بميدان الجامع الأزهر ـ مصر ـ الطبعة الأولى ـ ب ت .

٣٨. تفسير المراغي ـ لأحمد مصطفى المراغي ـ شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ مصر ـ الطبعة الرابعة ـ ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٣٩. التفسير الحديث ـ لمحمد عزة دروزه ـ طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ـ ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.

٤٠. التفسير الوسيط ـ للدكتور محمد سيد طنطاوي ـ القاهرة ـ مدينة نصر ـ ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٦م.

٤١. التفسير والمفسرون ـ للدكتور محمد حسين الذهبي ـ دار الكتب الحديثة ـ مصر ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

٤٢. تفسير النصوص في الفقه الإسلامي ـ للدكتور محمد أديب صالح ـ منشورات المكتب الإسلامي ـ الطبعة الثانية ـ ب ت .

٤٣. التعارض والترجيح بين الأدلة الشرعية ـ لعبد اللطيف عبد الله عزيز ـ مطبعة العاني ـ بغداد ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٤٤. التلويح على التوضيح ـ لسعد الدين التفتازاني ـ مطبعة محمد علي صبيح ـ ١٣٦٧هـ .

٤٥. تنوير المقياس في تفسير ابن عباس ـ لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٢٠هـ .

٤٦. تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ـ للشيخ إسماعيل حقي البروسوي ـ اختصار وتحقيق الشيخ محمد علي الصابوني ـ الطبعة الثانية ـ ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٤٧. تنزيل القرآن ـ لأبن شهاب الزهري ـ تحقيق د. صلاح الدين المنجد ـ دار الكتب الحديث ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٨٠م.

٤٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ـ تحقيق اللويحق ـ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٤٩. التيسير في القراءات السبع ـ لأبي عمر وعثمان بن سعيد الداني ـ استنبول ـ مطبعة الدولة ـ ١٩٣٠م.

٥٠. تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور ـ للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٥١. تهذيب سيرة ابن هشام ـ لعبد السلام هارون ـ ب ت .

٥٢. جامع البيان في تفسير القرآن ـ لأبي جعفر بن جرير الطبري ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثالثة ـ ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٥٣. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ـ للسيد أحمد الهاشمي ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر ـ الطبعة الثانية عشر ـ ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.

٥٤. الجواهر في تفسير القرآن الكريم المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات ـ للشيخ طنطاوي جوهري ـ دار الفكر ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٥٠هـ .

٥٥. حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ـ دار صادر ـ بيروت .
٥٦. الحجة في القراءات السبع ـ لأبي علي الحسن بن أحمد ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
٥٧. الخصائص ـ لأبي الفتح عثمان بن جني ـ تحقيق محمد علي النجار ـ دار الشؤون الثقافية ـ بغداد ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٩٠م.
٥٨. دراسات في أصول تفسير القرآن ـ الدكتور محسن عبد الحميد ـ مطبعة الوطن العربي ـ بغداد ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
٥٩. الدر المنثور في التفسير بالمأثور ـ للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي ـ بيروت ـ لبنان ـ ب ت .
٦٠. دور الكلمة في اللغة ـ لستيفن أولمان ـ ترجمة الدكتور كمال محمد بشر ـ المطبعة العثمانية ـ الطبعة الثالثة ـ ١٩٧٢م.
٦١. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ـ لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ـ تحقيق د. عبد المعطي قلعجي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٨٥م.
٦٢. ديوان الإمام علي ـ تحقيق ومراجعة سعد كريم الفقي ـ دار اليقين للنشر والتوزيع ـ مصر ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
٦٣. الرسالة ـ للإمام محمد بن إدريس الشافعي ـ تحقيق أحمد محمد شاطر ـ شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ مصر ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٥٨هـ/ ١٩٤٠م.
٦٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ـ للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي ـ إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ب ت .

٦٥. الروضة ــ مجلة إسلامية فكرية شهرية يصدرها المركز الإعلامي في الأمانة العليا للإفتاء ، العدد الخاص ــ ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

٦٦. السراج المنير ــ للشربيني ــ دار إحياء التراث العربي ــ لبنان ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ــ ٢٠٠٤م.

٦٧. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ــ للدكتور مصطفى السباعي ــ مطبعة المدني ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى ــ ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م.

٦٨. سنن ابن ماجه ــ للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ــ دار إحياء الكتب العربية ــ ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥م.

٦٩. سنن أبي داود ــ للإمام الحافظ سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني ــ حقق أصله محمد محي الدين عبد الحميد ــ مطبعة السعادة ــ مصر ــ الطبعة الثانية ــ ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.

٧٠. سنن الترمذي ــ للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن سورة الترمذي ــ حققه وصححه عبد الوهاب عبد اللطيف ــ مطبعة المدني ــ القاهرة ــ ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

٧١. سنن الدارمي ــ لأبي عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل ــ مطبعة الاعتدال ــ دمشق ــ ١٣٤٩هـ .

٧٢. سنن الدارقطني ــ لعلي بن عمر الدارقطني ــ عني بتصحيحه وتنسيقه وترميمه وتحقيقه عبد الله هاشم يماني المدني ــ دار المحاسن للطباعة ــ القاهرة ــ ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

٧٣. السنن الكبرى ــ لأحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي ــ تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري ، وسيد كسروي حسن ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة التاسعة ــ ١٤١٣هـ .

٧٤. شرح الاسنوي ـ للإمام جمال الدين عبد الرحيم الاسنوي ـ الملحق مع شرح البدخشي ـ ب ت .

٧٥. شرح الكوكب المنير ـ للعلامة الشيخ محمد بن أحمد بن عبد العزيز المعروف بابن النجار ـ تحقيق محمد الزحيلي والدكتورة زيه حماد ـ دار الفكر ـ دمشق ـ ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٧٦. شرح جوهرة التوحيد ـ للعلامة الشيخ الباجوري ـ مطبعة البهية ـ مصر ـ ١٣٠٢هـ .

٧٧. شرح المقاصد ـ لسعد الدين التفتازاني ـ المطبعة الخيرية ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٢٥هـ ـ والملحق مع أشرف المقاصد لشرح المقاصد للمكناسي .

٧٨. شرح مسلم الثبوت ـ لمحب الدين عبد الشكور ـ المطبعة الأميرية ـ بولاق ـ مصر ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٢٤هـ ـ بهامش المستصفى للغزالي .

٧٩. شرح الموقف ـ للجرجاني ـ مطبعة السعادة ـ مصر ـ ١٣٢٥هـ.

٨٠. الصاحبي في اللغة العربية وسائلها وسنن العرب في كلامها ـ لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى ـ ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٨١. صحيح البخاري ـ لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ـ مطابع الشعب ـ ١٣٧٨هـ.

٨٢. صحيح ابن حبان ـ لأبي حاتم محمد بن حبان أحمد بن حبان التميمي ـ تحقيق أحمد محمد شاكر ـ دار المعارف ـ مصر ـ ١٣٧٢هـ.

٨٣. صحيح مسلم ـ لمسلم بن الحجاج أبي الحسين النيسابوري ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

٨٤. صفوة البيان لمعاني القرآن ــ للأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف ــ دار الفكر ــ ب ت.

٨٥. العقل وفهم العقل ــ للحارث بن أسد المحاسبي ــ حققه حسين القوتلي ــ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ــ ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

٨٦. العقل والوجود ــ ليوسف كرم ــ مطابع دار المعارف ــ مصر ــ ١٩٦٤م.

٨٧. العقائد النسفية ــ للإمام أبي حفص عمر بن محمد النسفي ــ شرح التفتازاني ــ أوفست مكتبة المثنى ــ بغداد ــ ١٣٤٦هـ.

٨٨. علم أصول الفقه وخلاصة التشريع الإسلامي ــ لعبد الوهاب خلاف ــ مطبعة النصر ــ مصر ــ الطبعة الثالثة ــ ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م.

٨٩. علوم القرآن الكريم ــ للدكتور نور الدين العز ــ مطبعة الصباح ــ دمشق ــ الطبعة الخامسة ــ ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٩٠. العين ــ لأبي عبد الرحمن بن أحمد الفراهيدي ــ تحقيق د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي ــ دار ومكتبة الهلال ــ الطبعة الأولى ــ ١٤٠٢هـ.

٩١. غرائب القرآن ورغائب الفرقان ــ لنظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري ــ تحقيق إبراهيم عطوه عوض ــ شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ــ القاهرة ــ ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٩٢. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ــ لأبي يحيى زكريا الأنصاري ــ تحقيق علي الصابوني ــ دار القرآن الكريم ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة الأولى ــ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٩٣. في ظلال القرآن ــ لسيد قطب ــ دار الشروق ــ بيروت ــ الطبعة الشرعية السابعة ــ ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٩٤. القاموس المحيط ـ لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي ـ تحقيق محمد بشير الادلبي ـ المكتبة العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ـ ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٩٥. كبرى اليقينيات الكونية ـ للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ـ دار الفكر ـ الطبعة الثالثة ـ ١٣٩٤هـ.

٩٦. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ـ للإمام محمد بن أحمد بن جزي الكلبي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

٩٧. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ـ لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان ـ ب ت.

٩٨. كشف الأسرار ـ للإمام علاء الدين عبد العزيز أحمد البخاري ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٩٩. كشوف جديدة في إعجاز القرآن الكريم ـ لعادل عبد الله القاقيلي ـ دار عمار ـ الأردن ـ ب ت.

١٠٠. لباب الإشارات ـ لفخر الدين محمد بن عمر الرازي ـ مطبعة السعادة ـ مصر ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٥٥هـ.

١٠١. لباب التأويل في معاني التنزيل ـ للإمام علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٢٠هـ.

١٠٢. لسان العرب ـ للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ـ دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر ـ ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.

١٠٣. مالك حياته وعصره ــ آراؤه وفقهه ــ لمحمد أبي زهرة ــ دار الفكر العربي ــ مصر ــ الطبعة الثانية ــ ١٩٥٢م.

١٠٤. مباحث في علوم القرآن ــ لمناع القطان ــ الدار السعودية للنشر ــ ١٣٧٨هـ.

١٠٥. مباحث في علوم القرآن ــ للدكتور صبحي الصالح ــ دار العلم للملايين ــ بيروت ــ الطبعة الرابعة ــ ١٩٦٥.

١٠٦. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ــ لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة الثانية ــ ١٩٦٧م.

١٠٧. مجمع البيان في تفسير القرآن ــ لأبي علي الفضل بن الحسين الطبرسي ــ دار الفكر ودار الكتاب اللبناني ــ بيروت ــ الطبعة الثانية ــ ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م.

١٠٨. محاضرات في أصول الفقه على مذاهب أهل السنة والإمامية ــ للأستاذ بدر متولي عبد الباسط ــ الشركة الإسلامية للطباعة والنشر المحدودة ــ بغداد ــ الطبعة الأولى ــ ب ت.

١٠٩. المحصول في علم أصول الفقه ــ لفخر الدين محمد بن الحسين الرازي ــ دراسة وتحقيق الدكتور طه جابر الفياض العلواني ــ مطابع الفرزوي ــ الرياض ــ الطبعة الأولى ــ ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١١٠. المختار من تفسير القرآن العظيم ــ لمحمد متولي الشعراوي ــ طبع الدار العربية ــ بغداد ــ ب ت.

١١١. مدارك التنزيل وحقائق التأويل ــ لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ــ طبعة دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة الأولى ــ ١٣٢٠هـ.

١١٢. المرشد في علم أصول الفقه وتاريخ الفقه الإسلامي ـ محمدي الأعظمي ـ مطبعة المعارف ـ بغداد ـ ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م.

١١٣. المسامرة بشرح المسايرة ـ للشيخ كمال الدين محمد بن محمد المعروف بابن أبي شريف ـ مصر ـ ب ت.

١١٤. المستصفى من علم الأصول ـ للإمام أبي حامد الغزالي ـ المطبعة المنيرية ببولاق ـ مصر ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٢٤هـ.

١١٥. المستدرك على الصحيحين ـ للإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٦٧م.

١١٦. مسند عبد بن حميد ـ لعبد بن حميد بن نصر أبي محمد الكبيسي ـ تحقيق صبحي السامرائي ومحمود محمد خليل الصعيدي ـ مكتبة السنة ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١١٧. مشكل إعراب القرآن واعرابه ـ للزجاج ـ تحقيق عبد الجليل عيده شلبي ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ١٤٢٤هـ.

١١٨. المصباح المنير ـ لأحمد بن محمد بن علي المقري ـ المكتبة العلمية ـ بيروت ـ ب ت.

١١٩. مصنف بن أبي شيبه ـ لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبه الكوني ـ تحقيق كمال يوسف الحوت ـ مكتبة الرشد ـ الرياض ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠٩هـ.

١٢٠. معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات وأشهر القراء ـ للدكتور عبد العال سالم مكرم والدكتور أحمد مختار عمر ـ مطبوعات جامعة الكويت ـ الطبعة الثانية ـ ١٤٠٨هـ.

١٢١. معاني القرآن ــ لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ــ عالم الكتب ــ بيروت ــ الطبعة الثالثة ــ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٢٢. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ــ لجمال الدين بن هشام الأنصاري ــ دار الفكر ــ بيروت ــ الطبعة الثانية ــ ١٩٦٩م.

١٢٣. مفردات الفاظ القرآن ــ للعلامة الراغب الأصفهاني ــ تحقيق صفوان عدنان داوودي ــ دار القلم ــ دمشق ــ والدار الشامية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ــ ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

١٢٤. مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها ــ لعلال الفاسي ــ مكتبة الوحدة العربية ــ الدار البيضاء ــ ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.

١٢٥. المقاصد ــ للتفتازاني ــ منشورات الشريف الرضي ــ ١٩٨٩م.

١٢٦. مقدمة التفسير ــ لأحمد بن تيمية ــ تحقيق محمود محمد محمود نصار ــ مكتبة التراث الإسلامي ــ ب ت.

١٢٧. مناهل العرفان في علوم القرآن ــ لمحمد عبد العظيم الزرقاني ــ دار إحياء الكتب العربية ــ عيسى البابي وشركاه ــ ب ت.

١٢٨. مناهج البحث الفلسفي ــ د. محمود زيدان ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ ١٩٧٧م.

١٢٩. المنخول من تعليقات الأصول ــ لحجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ــ حققه وخرج نصه وعلق عليه محمد حسين هاتو ــ ب ت.

١٣٠. المنطق ــ لمحمد رضا المظفر ــ مطبعة النعمان ــ النجف ــ الطبعة الثانية ــ ١٣٨٨هـ.

١٣١. الموافقات في أصول الشريعة ـ لأبي إسحاق الشاطبي ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

١٣٢. المواقف ـ للإمام عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الأيجي ـ بشرحه للمحقق السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني ـ مطبعة السعادة ـ مصر ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٢٥هـ.

١٣٣. مواهب الرحمن في تفسير القرآن ـ لعبد الكريم المدرس ـ عني بنشره محمد علي القره داغي ـ الطبعة الأولى ـ ب ت.

١٣٤. موجز البيان في مباحث البيان ـ كمال الدين الطائي ـ مطبعة سلمان الأعظمي ـ بغداد ـ ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

١٣٥. موجز علوم القرآن ـ لداود العطار ـ مطبعة الزهراء ـ بغداد ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

١٣٦. موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين ـ لمصطفى صبري ـ المكتبة الإسلامية ـ ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م.

١٣٧. الناسخ والمنسوخ ـ لهبة الله بن سلامة بن نصر المقري ـ تحقيق زهير الشاويش ومحمد كنعان ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠٤هـ.

١٣٨. الناسخ والمنسوخ ـ لقتادة بن قتادة السدوسي ـ تحقيق د. حاتم صالح الضامن ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠٤هـ.

١٣٩. الناسخ والمنسوخ ـ لأحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس ـ تحقيق د. محمد عبد السلام محمد ـ مكتبة الفلاح ـ الكويت ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠٨هـ.

١٤٠. النشر في القراءات العشر ـ للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الشهير بابن الجزري ـ مطبعة مصطفى محمد ـ مصر ـ ب ت.

١٤١. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ـ للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى ـ ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

١٤٢. النظم الفني في القرآن ـ لعبد المتعال الصعيدي ـ مكتبة الآداب بالجماميز ـ المطبعة النموذجية ـ مصر.

١٤٣. نهاية السول في شرح منهاج الأصول ـ للقاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي ـ المطبعة السلفية ـ القاهرة ـ ١٣٤٥هـ.

١٤٤. الوجيز في أصول الفقه ـ لعبد الكريم زيدان ـ مؤسسة الرسالة ـ بغداد ـ العراق ـ ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

١٤٥. الوسيلة في شرح الفضيلة ـ للشيخ عبد الكريم المدرس ـ مطبعة الإرشاد ـ بغداد ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

البحوث:

سورة النصر دراسة وتحليل ـ بحث تكميلي مقدم إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية ـ لطالب الماجستير قتيبة فوزي الراوي ـ ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م بإشراف أ.د.محمد صالح عطيه الحمداني.

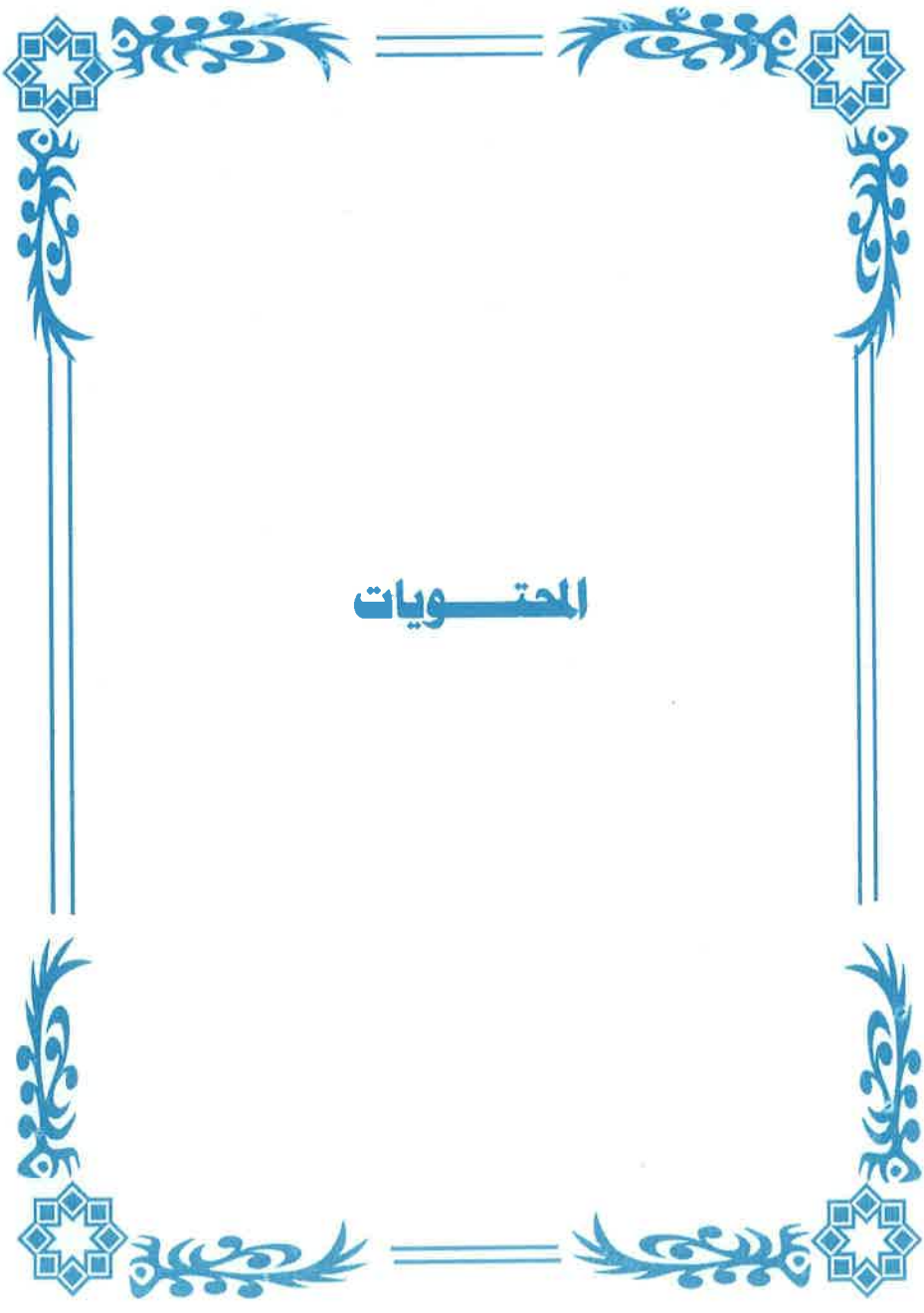

المحتـــويات

المحتـــويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٣
المقدمة	٥
الفصل الأول ــ منهج **التفسير التحليلي** للنص القرآني **تطوراً وأهمية**.	٩
المبحث الأول ــ منهج التفسير التحليلي للنص القرآنـــي فـــي اللغـــة والاصطلاح.	١١
المبحث الثاني ــ تطور المناهج التفسيرية.	١٥
المبحث الثالث ــ أهمية منهج التفسير **التحليلي**.	١٩
الفصل الثاني ــ ضوابط فهم النص القرآني.	٢٣
المبحث الأول ــ الأصول النقلية لفهم النص القرآني.	٢٦
المبحث الثاني ــ القواعد اللغوية لفهم النص القرآني.	٣٢
المبحث الثالث ــ القواعد **الأصولية** لفهم النص القرآني.	٧٧
المبحث الرابع ــ المبادئ **العقلية** البرهانية **لفهم** النص القرآني.	٨٦
الفصل الثالث ــ خطوات منهج التفسير التحليلي.	٩٧
المبحث الأول ــ تحليل الكلمات.	١٠٠
المبحث الثاني ــ أسباب النزول.	١٠٣
المبحث الثالث ــ مناسبة الآيات والسور.	١٠٦
المبحث الرابع ــ القراءات القرآنية.	١١٠
المبحث الخامس ــ الإعراب.	١١٣
المبحث السادس ــ القضايا البلاغية.	١١٦

المبحث السابع ــ المعنى العام.	١١٩
المبحث الثامن ــ ما يستفاد من النص.	١٢١
الفصل الرابع ــ تحليل سورة النصر.	١٢٣
المبحث الأول ــ نظرة عامة على سورة النصر.	١٢٦
المبحث الثاني ــ الدراسة التحليلية.	١٤٠
فهرست المصادر والمراجع	١٦٧
المحتويات	١٨٥

طبع بمطبعة هيئة إدارة واستثمار أموال الوقف السني